المصطلح والشاهد البلاغي
في كتاب الكامل للمبرد

د. عبد العزيز بن صالح الدعيلج
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي - كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المصطلح والشاهد البلاغي
في كتاب الكامل للمبرد

د. عبد العزيز بن صالح الدعيلج
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

حظي كتاب الكامل للمبرد باهتمام، وشهد له بالفضل والتقدم عند العلماء والأدباء والنقاد، وكانت له قيمة في بيئات المتعلمين، وبرز كتابا رائدا في ميدان اللغة والأدب، وملئ بالنصوص الأدبية التي كانت ميدان دراسة في البحث البلاغي، كما كان كتاب الكامل إرهاصا بميلاد بعض فنون البلاغة وشواهدها في لغتنا العربية، وهذا الكتاب وإن كان كتاب لغة في الدرجة الأولى، إلا أنه تخلله ملاحظات بلاغية كثيرة تستدعي الدراسة والتأمل، إذ لا يفوت المؤلف وهو يشرح النصوص الشعرية والنثرية أن يلفت إلى ما حوته من لفتات بلاغية، تسجّل تأصيله للمصطلح البلاغي، فكانت هذه الدراسة لما في كتاب الكامل من ظواهر بلاغية، ومن ثمّ انعقدت غاية هذا البحث على استجلاء الأصول والشواهد البلاغية في كتاب الكامل، والوقوف على أثرها في البحث البلاغي، حتى تأخذ مكانها الحقيق بها في تأصيل البلاغة وتجديدها، بصفتها رافدا أوليًا من تلك الروافد التي استقت منها بلاغتنا العربية طرائقها في البحث والتحليل.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، أما بعد:

فإن كتاب الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد من كتب الأدب المشهود لها، ولقد حظي باهتمام العلماء والأدباء والنقاد، وكان له قيمة في بيئات المتعلمين، وبرز كتابا رائدا من كتب الأدب واللغة، كما كان له الأثر الكبير في تأليف العلماء من بعده، وكان لهم إقبال عليه، وعناية به عدته من أصول فن الأدب وأركانه، فأقبل العلماء على الكتاب واعتنوا به، فكان منهم من أقرأه، ومنهم من شرحه، ومنهم من نبّه على سقطاته، ومنهم من علّق عيه، ومنهم من احتذاه تأليفا، واحتفى به الأندلسيّون أيّما احتفاء.

وصاحبه قد بلغ الشهرة في فنه، وشهد له بالسبق في النحو والعربية، شهد له القاصي والدّاني والعدو والصديق بعلمه وفضله وتقدّمه وحفظه للأخبار، حتى عدّه ابن جني جبلا في العلم.[1] وتواترت الأخبار على عذوبة لفظه، وفصاحة لسانه، وتربّعه على عرش مدرسة النحو البصرية في زمانه.

وقد رأيت أن أستجلي كتابه الكامل، وأبرز ما تضمّنه من لفتات بلاغية، كان لها عظيم الأثر في تأصيل المصطلح والشاهد البلاغي من بعده، وكيف أن الرجل كان من روافد البلاغة التي استفاد منها البلاغيّون فيما كتبوا؟.

لقد كان كتاب الكامل إرهاصا بميلاد بعض فنون البلاغة وشواهدها في لغتنا العربية، وهذا الكتاب وإن كان كتاب لغة يعنى في المحل الأول بتفسير ما يقع فيه من لفظ غريب، أو معنى مبهم، فإنه تخلّله إشارات بلاغية كثيرة تستدعي الدراسة والتأمل، إذ لا يفوته وهو يشرح النصوص الشعرية والنثرية شرحا لغويّا أن يشير إلى ما فيها من لفتات بلاغية، تسجّل تأصيله للمصطلح والشاهد البلاغي.

ولعل الهدف من هذه الدراسة هو استجلاء هذه الجوانب البلاغية المطمورة في كتاب الكامل للمبرد، والوقوف على أثرها في البحث البلاغي، حتى تأخذ مكانها الحقيق بها في حركة تأصيل البلاغة وتجديدها، على أن مرادي الإشارة إلى ما سبق إليه المبرد من مصطلحات وشواهد ونصوص بلاغية أفاد منها البلاغيون الذين أصّلوا للبلاغة فيما بعد.

---

(١) سر صناعة الإعراب: ١/١٣٠.

وقد جعلت دراستي مبتدأة بتمهيد عن المبرد وكتابه الكامل، ثم قسّمت البحث إلى جملة أمور، أولها: الفصاحة والبلاغة، وثانيها: مسائل علم المعاني، بما فيها الجملة والجمل وتخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وثالثها: البيان، ورابعها: البديع.

وحسبي أني اجتهدت في دراسة هذا الكتاب، وتأمل مسائله وشواهده،وإبراز جهد مؤلفه وأثر ذلك على البحث البلاغي من بعده، فما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان فيه من خطأ وزلل فمن نفسي والشيطان والحمد لله رب العالمين.

المبرد وكتابه الكامل:

اسمه: محمدبن يزيد بن عبدالأكبر بن عمير بن حسان بن سليمان بن سعد بن عبدالله بن يزيد بن مالك ابن الحارث بن عامر بن عبد الله بن بلال بن عوف بن أسلم وهو ثمالة، ثم ينتهي إلى السد بن الغوث وهو الأزد، فهو الثمالي الأزدي البصري أبو العباس النحوي اللغوي الأديب، ولد بالبصرة يوم الاثنين غداة عيد الأضحى سنة عشرة ومائتين[1].إمام في اللغة والعربية أخذ ذلك عن المازني وأبي حاتم السجستاني[2]،كما أخذ النحو عن الجرمي والمازني وغيرهما وكان على المازني يعول ويقال: إنه بدأ بقراءة كتاب سيبويه وختمه على المازني، وروى عنه إسماعيل الصفار ونفطويه. [3]وكان ثقة ثبتا فيما ينقله، وكانت له المعرفة التامة باللغة وكان فى نحو البصريين آية، وفي سر تسميته بالمبرد أنه سئل لم سميت المبرد؟ قال:كان سبب ذلك أن صاحب الشرطة طلبني للمنادمة فكرهت الذهاب إليه فدخلت على أبى حاتم السجستاني فجاء رسول الوالي فقال لي أبو حاتم: ادخل في هذا يعنى غلاف المزملة فارغ فدخلت فيه وغطى رأسه ثم خرج إلى الرسول فقال: ليس هو عندي! فقال أخبرت أنه دخل إليك، فقال: فادخل الدار ففتشها فدخل فطاف كل موضع من الدار ولم يفطن بغلاف المزملة ثم خرج فجعل أبو حاتم يصفق وينادي على المزملة: المبرد المبرد وتسامع الناس ذلك فلهجوا به. [4]ولما صنف المازني كتاب الألف واللام، سأل المبرد عن دقيقه وعويصه.

---

(١) معجم الأدباء: ٦/ ٢٦٧٦-٢٦٨٨.

(٢) البداية والنهاية: ١١/ ٨٤ تاريخ العلماء النحويين للقاضي التنوخي: ٥٤.

(٣) بغية الوعاة: ١/ ٢٦٩ نزهة الألباء في طبقات الأدباء: ١٦٥.

(٤) المنتظم لابن الجوزي: ١٢/ ٣٨٩ البداية والنهاية: ١١/ ٨٥ .

فأجابه بأحسن جواب، فقال له: قم فأنت المبرد-بكسر الراء- أي: المثبت للحق، فغيّره الكوفيون، وفتحوا الراء.[1]

وكان وسيماً مليح الصورة فصيحاً مفوهاً أخبارياً علامة ثقة، كما كان حسن المحاضرة، مليح الأخبار، كثير النوادر.[2] وقد أثنى العلماء عليه وعلى ثعلب في عصرهما وفيهما يقول بعض أهل عصرهما، وهو أبو بكر بن الأزهر، أبياتاً من جملتها قوله:

أيا طالب العلم لا تجهلن ... وعد بالمبرد أو ثعلب

تجد عند هذين علم الورى ... فلا تك كالجمل الأجرب

علوم الخلائق مخزونة ... بهذين في الشرق والمغرب

قالوا: وكان المبرد يحب الاجتماع بثعلب للمناظرة والاستكثار من ذلك، وكان ثعلب يكره ذلك ويمتنع منه.وحكى أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الفقيه الموصلي قال: قلت لأبي عبد الله الدينوي ختن ثعلب:. لم يأبى ثعلب الاجتماع بالمبرد؟ فقال: لأن المبرد حسن العبارة، حلو الإشارة، فصيح اللسان، وثعلب مذهبه مذهب المعلمين، فإذا اجتمعا في محفل، حكم للمبرد على الظاهر، إلى أن يعرف الباطن. وكان المبرد كثير الأمالي حسن النوادر.وكان رجلا متواضعا يقدر من أمامه، وقد حكي أنه دخل على المبرد رجل، فأراد القيام، فقال: أنشدك الله أبا العباس، إن قمت، قال: فلم أخبئ قيامي؟ وأنشد:

إذا ما بصرنا به مقبلاً ... حللنا الحبا وابتدرنا القياما

فلا تنكرون قيامي له ... فإن الكرام تجل الكراما[3]

---

(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ٢٦٩/١-٢٧٠.

(٢) نزهة الألباء: ١٦٥.

(٣) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان: ٢١٢/٢.

ومن مكانته العلمية ما ذكره إسماعيل بن إسحاق القاضي وهو أقدم مولداً منه ورأى الناس بالبصرة يقول: ما رأى محمد بن يزيد مثل نفسه. وسمعت أبا بكر بن مجاهد يقول: ما رأيت أحسن جواباً من المبرد في معاني القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدم. وسمعته يقول: لقد فاتني منه علم كثير لقضاء ذمام ثعلب. وسمعت نفطويه يقول: ما رأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد منه ومن أبي العباس بن فرات. وكذلك خبرنا أبو بكر بن السراج عن محمد بن خلف وكيع.[1] ومن شعر أبي العباس وكان مليح الطبع أخبر أبو بكر بن أبي الأزهر قال كتب طاهر بن الحارث كاتب محمد بن عبد الله بن طاهر إليه رقعة في درجها تسبيب له على مصر قد فرغ منه وأحكمه وكان الغلام الموصل للرقعة يسمى نصراً فأجابه عن رقعته وكتب في آخر الجواب.

بنفسي أخ برٌّ شددت به أزري ... فألفيته حراً على العسر واليسر

أغيب فلي منه ثناءٌ ومدحة ... وأحضر منه أحسن القول والبشر

وما طاهرٌ إلا جمالٌ لصحبه ... وناصر عافيه على كلب الدهر

تفردت يا خير الورى فكفيتني ... مطالبةٌ شنعاء ضاق لها صدري

فأحسن من وجه الحبيب ووصله ... كتابٌ أتاني مدرجاً بيدي نصر

سررت به لما أتى ورأيتني ... غنيت وإن كان الكتاب إلى مصر

وقلت رعاك الله من ذي مودة ... فقد فت إحساناً وقصر بي شكري[2]

ولأبي العباس المبرد من التصانيف الكامل في الأدب وهو أشهر كتبه، والمقتضب في النحو وهو أكبر مصنفاته وأنفسها.ومن تصانيفه أيضاً: الروضة، والمدخل في كتاب سيبويه، وكتاب الاشتقاق، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب المذكر والمؤنث، ومعاني القرآن ويعرف بالكتاب التام، وكتاب الخط والهجاء، وكتاب الأنواء والأزمنة، وكتاب احتجاج القراء وإعراب القران، وكتاب الحروف في معاني القرآن إلى سورة طه، وكتاب

---

(١) أخبار النحويين البصريين: ١٠٢.

(٢) أخبار النحويين البصريين: ١٠٦.

صفات الله جل وعلا، وكتاب العبارة عن أسماء الله تعالى، وشرح شواهد كتاب سيبويه، وكتاب الرد على سيبويه ومعنى كتاب الأوسط للأخفش، وكتاب الزيادة المنتزعة من كتاب سيبويه، ومعنى كتاب سيبويه، وكتاب الحروف، والمدخل في النحو، وكتاب الإعراب، وكتاب التصريف، وكتاب العروض، وكتاب القوافي، وكتاب البلاغة، والرسالة الكاملة، والجامع لم يتم، وقواعد الشعر، وكتاب ضرورة الشعر، وكتاب الفاضل والمفضول، والرياض المونقة، وكتاب الوشي، وكتاب شرح كلام العرب وتخليص ألفاظها ومزاوجة كلامها وتقريب مبانيها، وكتاب الحث على الأدب والصدق، وأدب الجليس، وكتاب الناطق، وكتاب الممادح والمقابح، وكتاب أسماء الواهي عند العرب، وكتاب ما اتفقت ألفاظه واختلفت معانيه في القرآن، وكتاب التعازي، وكتاب قحطان وعدنان، وطبقات النحويين البصريين وأخبارهم وغير ذلك.[1] مات أبو العباس المبرد في شوال، وقيل في ذي القعدة سنة خمس وثمانين ومائتين في خلافة المعتضد.

وأما كتاب الكامل فهو من أشهر كتب المبرد، ذكر ياقوت الحموي مؤلفات المبرد فقال:" ولأبي العباس المبرد من التصانيف الكامل في الأدب وهو أشهر كتبه"[2] ومن أشهر كتب الأدب في المائة الثالثة، وهو أحد أصول علم الأدب وأركانه، وقد حدد ابن خلدون مفهوم علم الأدب حتى أيامه، وذكر أصوله وأركانه عند المغاربة بقوله في مقدمته[3]"...وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين: وهي أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها" وقد أبان المبرد عن موضوع كتابه ومنهجه فيه بقوله: [4]" هذا كتاب ألفناه يجمع ضروبا من الآداب، مابين كلام منثور، وشعر مرصوف، ومثل سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خطبة شريفة، ورسالة بالغة، والنية فيه أن نفسّر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مستغلق، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحا وافيا،

---

(١) معجم الأدباء: ٦/ ٢٦٨٤

(٢) معجم الأدباء: ٦/ ٢٦٨٤

(٣) مقدمة ابن خلدون: ٥٣٣

(٤) الكامل: ١/١-٢

حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيا، وعن أن يرجع إلى أحد في تفسيره مستغنيا".

وتلك المنهجية التي رسمها المبرد في مقدمته قد حققها تحقيقا بيّنا، فجاء كتابه مشتملا على مختارات أدبية من الشعر والنثر والحكم والأمثال، كما حبي بالإيضاحات اللغوية والتوجيهات النحوية والطرائف النقدية، والتعريفات والتحليلات البلاغية، وذكر الدكتور شوقي ضيف كتاب الكامل، وقال عنه" ونجد للمبرد ملاحظات بيانية تتخلل كتابه الكامل من حين إلى حين، وهو فيه يعرض نماذج أدبية شعرية ونثرية كثيرة، متبعا لها بالشرح اللغوي، ومشيرا أحيانا إلى ما في الكلام من استعارة أو التفات أو إيجاز أو إطناب أو تقديم أو تأخير، ويذكر أحيانا كلمة المجاز ولكن بالمعنى اللغوي"[1] والدكتور أحمد مطلوب يصف ما في الكتاب من بلاغة، فيقول: [2]" ونثر في كتابه الكامل كثيرا من فنون البلاغة" وقال الإمام المعافى بن زكريا عن الكتاب: [3]" وعمل أبو العباس محمد بن يزيد النحوي كتابه الذي سماه الكامل وضمنه أخبارا وقصصا لا إسناد لكثير منها، وأودعه من اشتقاق اللغة وشرحها وبيان أسرارها وفقهها ما يأتي به مثله لسعة علمه، وقوة فهمه، ولطيف فكرته، وصفاء قريحته، ومن جلي النحو والإعراب وغامضهما ما يقل وجود من يسدّ فيه مسدّه..." ويقول الدكتور بدوي طبانة عن كتاب الكامل وما تناوله المبرد من موضوعات[4]" فكتاب الكامل الذي ألفه محمد بن يزيد المبرد زاخر بفنون الأدب، مع كثير من الشرح والتحليل، وكثير من النقد والموازنة، وقليل من الكلام في عناصر الأدب، والطابع العام لهذا الكتاب هو أدب الرواية، وإن كان يحتوي على كثير من آثار الفطنة والفهم..." ويكفي أن اختم بوصف الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة لكتاب الكامل " الكامل صورة صادقة لما انطبع في نفس المبرد من معارف، وما تثقف به من ثقافات: لغوية، ونحوية، وأدبية...وشهرة الكامل تغنينا عن التعريف به، وبيان طريقته في التأليف.." [5].

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ: ٦٠.

(٢) مناهج بلاغية: ٨٩.

(٣) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي: ١٦١/٢.

(٤) البيان العربي: ٩٧.

(٥) المقتضب: ٥٨/١ (مقدمة المحقق).

وقد أقبل العلماء على الكتاب واعتنوا به وتناولوه بالقراءة والشرح والتعليق. فممن شرحه أبو الوليد الوقشي هشام بن أحمد، وسمّى شرحه "نكت الكامل"[1] وابن السيد البطليوسي. وابن مضاء القرطبي.[2] كما كان الكامل مثالا يحتذى في التأليف. فقد عارضه كثير من الأدباء ك: إبراهيم بن ماهويه الفارسي[3]، وفي عصرنا الحديث شرحه وعلّق عليه سيد بن علي المرصفي بتوجيه من الإمام محمد عبده، وذلك في كتابه الذي سماه" رغبة الآمل في شرح الكامل" في ثمانية أجزاء. كما حققه الدكتور محمد أحمد الدالي تحقيقا رائعا، يثنى عليه، وتميز جهده بدقته واعتنائه بفهارسه، وتخريج أبياته، وعلى ما قدم اعتمد هذا البحث.

المصطلحات والشواهد البلاغية في كتاب الكامل:

أولا: الفصاحة والبلاغة:

١. الفصاحة والبلاغة واللفظة المفردة:

أ. عيوب الفصاحة:

الدارس لكتاب الكامل للمبرد يلاحظ أنه اهتم بإبراز عيوب الفصاحة في الكلام وعند المتكلم، وكان من منهجه أن يشير إلى أنع حين يذكر المعيب يتبعه بالمستحسن.

وقد أشار المبرد إلى أحد عيوب الفصاحة المتعلقة بالتركيب، وهو التعقيد الناشئ من عدم ترتيب الكلام، ووقف عند قول الفرزدق:

وما مثله في الناس إلا مملكاً أبو أمه حي أبوه يقاربه

وعده من أقبح الضرورة، وأهجن الألفاظ، وأبعد المعاني" يعني بالمملك هشاماً، أبو أم ذلك المملك أبو هذا الممدوح، ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحاً، وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه أن يقول: وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح، فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد، وهجنه بما أوقع فيه

---

(١) بغية الوعاة: ٣٢٧/٢

(٢) بغية الوعاة: ٢٧٩/١

(٣) معجم الأدباء: ٢٠٩/١

من التقديم والتأخير."[1] فالمبرد لاحظ ما في البيت من تعقيد سببه ما فيه من تقديم وتأخير، وانفصال الكلام بعضه عن بعض، فالمبتدأ منفصل عن الخبر، والنعت منفصل عن المنعوت، والمستثنى لم يعقب المستثنى منه، كل هذا واضح من كلام المبرد حين لم يضع الشاعر الكلام في موضعه، وهو التعقيد اللفظي الذي ينشأ بسبب فساد اللفظ، وما فيه من تقديم وتأخير أدى إلى خلل في النظم، وسوء العبارة. وقد استشهد به البلاغيون لتوضيح الفساد في التركيب والعيب الناشئ من الفصل بين الكلمات والتقديم والتأخير في غير محله.[2]

إن المبرد لا يرضى بهذا النوع من التعقيد في الكلام ولا يقبله، ولذا فهو يقارنه بضده مما أصبح الكلام فيه واضحا جليا تقبله النفس، وتطرب لسماعه" حتى كأن هذا الشعر لم يجتمع في صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول:

تصرم مني ود بكر بن وائلٍ ... وما كاد مني ودهم يتصرم

قوارص تأتيني ويحتقرونها ... وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

وكأنه لم يقع ذلك الكلام لمن يقول:

والشيب ينهض في السواد كأنه ... ليل يصيح بجانبيه نهار

فهذا أوضح معنى، وأعرب لفظٍ، وأقرب مأخذٍ."[3]

ومن العيوب التي لفت إليها المبرد في جانب الفصاحة عدم مراعاة قواعد النحو، فيعاب البيت من الشعر والكلام من النثر بسبب مخالفته لقواعد النحو، وقد دعا هذا الأمر المبرد إلى أن يقف مع بعض الأبيات التي لم تراع قواعد النحو من مثل قول أعرابي:

ألا تسأل ذا العلم ما الذي ... يحل من التقبيل في رمضان؟

فقال لي المكي: أما لزوجةٍ ... فسبع، وأما خلةٍ فثمان

---

(١) الكامل: ٤١/١-٤٢.

(٢) شروح التلخيص: ١٠٤/١.

(٣) الكامل: ٤٢/١.

قال: " وفي هذا الشعر عيب، وهو الذي يسميه النحويون العطف على عاملين، وذلك أنه عطف "خلةٌ" على اللام الخافضة لزوجة، وعطف "ثمانيا" على "سبع"، ويلزم من قال هذا أن يقول: مر عبد الله بزيد وعمرو وخالد. ففيه هذا القبح" [1]. ومسألة العطف على عاملين بحرف العطف من المسائل التي لا يجيزها النحاة، لما تؤديه من الضعف والغموض والتعقيد والالتواء، وضعف حرف العطف عن كونه بمنزلة عاملين مختلفين، وقد صرح بذلك ابن السرّاج، فقال: " اعلم: أن العطف على عاملين لا يجوز من قبل أن حرف العطف إنما وضع لينوب عن العامل ويغني عن إعادته فإن قلت: قامَ زيدٌ وعمروٌ فالواو أغنت عن إعادة (قام) فقد صارت ترفع كما يرفع قامَ وكذلك إذا عطفت بها على منصوب نحو قولك: إن زيداً منطلقٌ وعمراً فالواو نصبت كما نصبت (إنَّ) وكذلك في الخفض إذا قلت: مررت بزيدٍ وعمروٍ فالواو جرت كما جرت الباء فلو عطفت على عاملين أحدهما يرفع والآخر ينصب لكنت قد أحلت لأنها كان تكون رافعةً ناصبة في حال قد أجمعوا على أنه لا يجوز أن تقول: مَرَّ زيدٌ بعمروٍ وبكرٌ خالدٍ فتعطف على الفعل والباء ولو جاز العطف على عاملين لجاز هذا..." [2].

والبعد عن التكلف من علامات الكلام المفضل الجيد، والوضوح مطلب لفصاحة الكلام، قال المبرد: " ومما يفضل لتخلصه من التكلف، وسلامته من التزيد، وبعده من الاستعانة قول أبي حية النميري:

رمتني وستر الله بيني وبينها ... عشية آرام الكناس رميم

ألا رب يوم لو رمتني رميتها ... ولكن عهدي بالنضال قديم

يقول: رمتني بطرفها، وأصابتني بمحاسنها، ولو كنت شاباً لرميت كما رمت، وفتنت كما فتنت، ولكن قد تطاول عهدي بالشباب، فهذا كلام واضح." [3]

---

(١) الكامل: ١/ ٣٧٥.

(٢) الأصول في النحو لابن السرّاج: ٢/ ٦٩ وانظر: شرح الرضي لكافية ابن الحاجب: ٢/ ١٠٣٣ القسم الأول.

(٣) الكامل: ١/ ٤٤.

إن حسن إخراج الكلام دليل على فصاحة المتكلم، وذلك مما يحمد ويثنى به على الأديب، ليقف بذلك في مصاف المقتدرين" ومما يستحسن لفظه ويستغرب معناه، ويحمد اختصاره قول أعرابي من بني كلاب:

فمن يك لم يغرض فإني وناقتي ... بحجرٍ إلى أهل الحمى غرضان

تحن فتبدي ما بها من صبابة ... وأخفي الذي لولا الأسى لقضاني

يريد: لقضى علي، فأخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أحسن مخرج"[1]

وقد أشار المبرد إلى بعض عيوب النطق تمهيدا لاجتنابها والبعد عنها كالاستعانة" فهو أن يدخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع إليه ليصحح به نظماً "و وزناً" إن كان في شعر، أو ليتذكر به ما بعده إن كان في كلام منثور، كنحو ما تسمعه في كثير من كلام العامة قولهم: ألست تسمع أفهمت أين أنت وأشبه هذا، وربما تشاغل العيي بفتل إصبعه ومس لحيته، وغير ذلك من بدنه، وربما تنحنح. وقد قال الشاعر يعيب بعض الخطباء في شعره:

مليءٌ ببهرٍ والتفاتٍ وسعلةٍ ... ومسحةِ عثنونٍ وفتل الأصابع"[2]

ومن العيوب" التمتمة: التردد في التاء، والفأفأة: التردد في الفاء. والعقلة: التواء اللسان عند إرادة الكلام. والحبسة: تعذر الكلام عند إرادته. واللفف: إدخال حرف في حرفٍ.. والرتةً: كالريح تمنع أول الكلام، فإذا جاء منه شيء اتصل. والغمغمة: أن تسمع الصوت ولا يتبين لك تقطيع الحروف. والطمطمة: أن يكون الكلام مشبهاً لكلامِ العجم. واللكنة: أن تعترض على الكلام اللغة الأعجمية... واللثغة: أن يعدل بحرفٍ إلى حرف. والغنة: أن يشرب الحرف صوت الخيشوم. والخنة: أسّد منها. والترخيم: حذف الكلام"[3]

---

(١) الكامل:١/٤٦-٤٧

(٢) الكامل:١/٤٥

(٣) الكامل:٢/٧٦١-٧٦٢

ب.البلاغة:

لا يخفى على المبرد ما يعيب البلاغة، وينقص قدرها من عدم مراعاة مقتض الحال، فقصة هشام ابن عبد الملك مع أبي النجم العجلي تجعله يؤكد على مطابقة الكلام لمقتضى الحال " قال أبو العباس: وحدثت في إسناد متصل أن أبا النجم العجلي أنشد هشاما:

والشمس قد صارت كعين الأحول...

لما ذهب به الروي عن الفكر في عين هشام، فأغضبه، فأمر بطرده، فطرد."[1]

ولذلك ينقل عن العتابي سمات البلاغة، فيقول:[2]" وقيل للعتابي: ما أقرب البلاغة؟ قال: ألا يؤتى السامع من سوء إفهام القائل، ولا يؤتى القائل من سوء فهم السامع."

٢. التذكير والتأنيث:

كانت للمبرد وقفة عجلى مع التذكير والتأنيث بإبراز السر من مجيء اللفظة مؤنثة في بعض الشواهد التي تناولها بالدراسة والتفسير، من مثل وقوفه على قول الكلابي:

حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن   للغدر خائنة مغل الإصبع

فقد وقف على لفظة (خائنة) المؤنثة، وتناول سر تأنيثها في البيت " وقوله: "ولم تكن للغدر خائنة"، ولم يقل خائناً، فإنما وضع هذا في موضع المصدر والتقدير: ولم تكن ذا خيانة."[3] فالمصدر قد يتحكم في اختيار الكلمة من حيث التذكير والتأنيث.وأما وجه دخول الهاء في خائنة فعلى المبالغة كما في راوية وعلاّمة وفهّامة، وقد ذكر أبو عبيدة في قوله:﴿ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ [المائدة:١٣]" أي على خائن منهم، والعرب تزيد الهاء في المذكرّ كقولهم: هو راوية للشعر، ورجل علاّمة، وقال الكِلابيّ:

حَدَّثتَ نفسَك بالوَفاء ولم تكن . . .لِلغَدْر خائِنةً مُغِلَّ الإِصْبَع

وقد قال قوم بل (خائنةٍ منهم) ها هنا الخِيانة، والعرب قد تضع لفظ (فاعلة) في موضع المصدر كقولهم للخِوان مائدة، وإنما المائدة التي تميدهم على الخِوان، يَميده ويُميحه واحد، وقال:

---

(١) الكامل: ٢/ ٩٩٧.

(٢) الكامل:٣/ ١٥٠٢.

(٣) الكامل:١/ ٤٦٣.

إلى أمير المؤمنين المُمْتادْ.. أي الممتاح."[1] فذكر المصدر وهو الخيانة كما ذكر المبالغة التي تفيدها الهاء.

وقد يكون التأنيث بالنظر إلى الجنس كما في قول عمر بن أبي ربيعة:

فكان مجني دون من كنتُ أتقي ثلاثَ شخوصٍ كاعبانٍ ومعصرَ

" وقوله: "ثلاث شخوص" فالوجهُ ثلاثةٌ شخُوصٍ ولكنه لما قصد إلى النساء أنثَ على المعنى، وأبان ما أرادَ بقوله: "كاعبانِ ومعصرُ".ومثله قولُ الشاعر:

فإن كلابا هذه عشرُ أبطنٍ وأنت بريء من قبائلها العشرِ

فقال: "عشرُ أبطنٍ". لأن البطنَ قبيلةٌ. وأبانَ ذلك في قوله: من قبائلها العشرِ. وقال الله جل وعز: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] لأن المعنى حسناتٌ."[2]. فيكون القصد من التأنيث إما النظر إلى المصدر أو المعنى أو الجنس.

٣. الإفراد والجمع:

تناول المبرد السر في جمع بعض المفردات من خلال بعض الشواهد التي درسها، وهو في دراسته يبين السر في جمعها، كما في قول عمارة في الحث على الأخذ بالثأر:

فأين فوارس السلمات منهم وجعدة والحريش ذوو الفضول!

فقد جمع (السلمات) " في قوله: "فأين فوارس ا لسلمات". يريد بني سلمة الخير، وبني سلمة الشر ابني قشير بن كعب، وجمع لأنه يريد الحي أجمع، كما تقول: المهالبة والمسامعة، فتجمعهم على اسم الأب، على المهلب ومسمع، وكذلك المناذرة."[3]

كما تناول السر في التعبير بالمفرد في قول الراعي:

حتى أضاء سراجٌ دونه بقرٌ حمر الأنامل عينٌ طرفها ساج

---

(١) مجاز القرآن: ١/ ١٥٨.

(٢) الكامل: ٢/ ٨٠١-٨٠٢.

(٣) الكامل: ١/ ٢١٨.

ووقف عند الإفراد في كلمة (طرفها) وسر ذلك، فقال: " وقوله: "طرفها ساج" ولم يقل: "أطرافها" لأن تقديرها تقدير المصدر، من طرفت طرفاً، قال الله ﷻ: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾[البقرة: ٧]. "[١] فالإفراد بالنظر إلى المصدر الدال على الجنس فيشمل المفرد والمثنى.

ومما تناوله المبرد في هذا الباب التعبير بالجمع عن المفرد والعكس على النحو الآتي:

أ. التعبير بالجمع عن المفرد تفخيما وتعظيما:

ب. كقول عمير:

قتلنا أخانا للوفاء بجارنا وكان أبونا قد تجير مقابره

فقد عبر عن فعله بـ (نا) الدالة على العظمة، فيكون المقصود أنه " فخم نفسه وعظمها، فذكرها باللفظ الذي يذكر الجميع به، والعرب تفعل هذا ويعد كبراً." [٢] فيكون قد عبر بالجمع عن المفرد، ويجوز أن تعبيره بالجمع للشمول فيدخل في ذلك عشيرته " فمعناه أنه له ولمن شايعه من عشيرته." [٣] فيكون التعبير على ظاهره.

ب.التعبير بالمفرد عن الجمع:

أشار إلى ذلك عند وقوفه على قول عمر بن أبي ربيعة:

ثم قالوا: تحبها؟ قلت: بهراً عدد النجم والحصى والترابِ

فالنجم في أحد قولين المقصود به: " النجوم، ووضع الواحد في موضع الجمع، لأنه للجنس، كما تقول: أهلك الناس الدرهم والدينارُ، وقد كثرتِ الشاة والبعيرُ، وكما قال الله عزَّ وجل: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ [العصر: ٢]."[٤]

ثانيا: الجملة.

١.الخبر والإنشاء:

سجل للمبرد إشارته إلى تنوع أضرب الخبر والمعنى واحد في قصة الفيلسوف الكندي[٥]، فكان أول من لاحظ تنوع المعاني بتنوع الخبر. وقد اتخذ علماء البلاغة من إجابة المبرد هذه أساسا لمبحث في المعاني سموه (أضرب الخبر).

---

(١) الكامل:١/٢٧٠

(٢) الكامل:١/٤٦٦

(٣) الكامل:١/٤٦٦

(٤) الكامل:٢/٧٩٥

(٥) انظر القصة في دلائل الإعجاز: ٣١٥

– كما اعتنى المبرد بالخبر دلالة، فقد وقف مع شيء من أغراضه البلاغية، كما في قول المكعبر الضبي:

وإني لأرجوكم على بطء سعيكم كما في بطون الحاملات رجاء

فقد بين أن غرض الشاعر من إلقاء الخبر عليهم التهكم بهم " يقول: وهذا رجاءٌ غير صادقٍ ولا موقوفٍ عليه، كما أن هذه الحوامل لا يعلم ما في بطونها وليس بميئوس منه، وإنما يتهكم بهم وهو يعلم أن سعيهم غير كائن، ألا تراه يقول:

أخبر من لاقيت أن قد وفيتم ولو شئت قال المخبرون أساؤوا"[1]

كما قد يأتي الخبر مفيدا للذم والهجاء، كما في قول أعرابي يهجو قوماً من طيىء:

ولما أن رأيت بني جوين جلوساً ليس بينهم جليس

ف " قوله: "جلوساً ليس بينهم جليس"، يقول: هؤلاء قوم لا ينتجع الناس معروفهم فليس فيهم غيرهم وهذا من أقبح الهجاء." [2]

وقد أدرك المبرد أن الجملة تأتي خبرا ويراد بها الإنشاء لتدل على معنى بلاغي يتحقق من خلال السياق وقرائن الكلام: تأمل وقفته عند قول عبد الله بن رواحة:

فشأنك فانعمي وخلاك ذم ولا أرجع إلى أهلي ورائي

" قوله: " ولا أرجع إلى أهلي ورائي" مجزوم لأنه دعاء، فقوله:" لا" يعني الجازمة، ومعناه: اللهم لا أرجع.كما تقول: زيد لا تغفر له، فهذا الدعاء ينجزم بما ينجزم به الأمر والنهي، كما تقول: زيد ليقم، وزيد لا يبرح."[3] فالمعنى المراد هنا الدعاء لا إفادة معنى الخبر الأصلي.

---

(١) الكامل:١/ ١١٠.

(٢) الكامل:١/ ٢٢٥.

(٣) الكامل:١/ ١٦٨-١٦٩.

وفي جانب الإنشاء استطاع المبرد أن يفرق بين الإنشاء الحقيقي والإنشاء المجازي من خلال رصد بعض معاني الإنشاء المجازي في أنواعه:

ففي الاستفهام يشير إلى أحد معانيه التي يخرج إليها، وهو التقرير في قول عبد الله بن معاوية:

أأنت أخي ما لم تكن حاجة فإن عرضت أيقنت أن لا أخا ليا

فـ " قوله: "أأنت أخي ما لم تكن لي حاجة" تقرير وليس باستفهام، ولكن معناه: أني قد بلوتك تظهر الإخاء فإذا بدت الحاجة لم أر من إخائك شيئاً وقال الله ﷻ: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] إنما هو توبيخ وليس باستفهام. وهو جل وعز العالم بأن عيسى لم يقله. وقد ذكرنا التقرير الواقع، بلفظ الاستفهام في موضعه من الكتاب "المقتضب" مستقصى، ونذكر منه جملة في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى." (١)

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨-٩] ذكر المبرد" وقال أهل المعرفة في قول الله عزّ وجل: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ إنما تسأل تبكيتاً لمن فعل ذلك بها، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾." (٢)

وفي موضع آخر يشير إلى الإنكار في الاستفهام في قول عمر بن أبي ربيعة:

فقالت: أتحقيقاً لِما قال كاشحٌ علينا، وتصديقاً لما كان يؤثرا!

" وقوله: فقالت أتحقيقاً؟ أي: أتفعل هذا تحقيقاً، ومن كلام العرب: أكلٌ هذا بخلاً؟ وذاك أنه رآه يفعل شيئاً أنكره فقال: أتفعل كل هذا بخلاً!" (٣)

---

(١) الكامل: ١/٢٧٧.

(٢) الكامل: ٢/٦٠٩.

(٣) الكامل: ٢/٨٠٠-٨٠١.

إن مبحث الاستفهام قد نال من حديث المبرد نصيبا لا بأس به، وهو وإن لم يستوعب مسائله المتنوعة، فإنه قد أدلى فيه بدلوه، وفتح للبلاغيين من بعده شيئا من أبوابه ومباحثه.

كما أشار في النداء عن أحد المعاني التي يخرج إليها، وهو الندبة في قول جرير يرثي عمر بن عبد العزيز:

نعى النعاةُ أميرَ المؤمنين لنا | يا خير من حج بيت الله واعتمرا
حملت أمراً جسيماً فاضطلعت به | وقمت فيه بحق اللهِ يا عمرا
فالشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةٍ | تبكي عليك نجوم الليل و القمرا

قوله: يا عمرا ندبةٌ، أراد: يا عمراه! وإنما الألف للندبة وحدها، والهاء تزاد في الوقف لخفاء الألف، فإذا وصلت لم تزدها، تقول: يا عمرا ذا الفضل، فإن وقفت قلت: يا عمراه: فحذف الهاء في القافية لاستغنائه عنها.[1]

وفي القسم إشارة إلى القسم الوارد في البيت أو الآية دون ذكر السر من وروده، فقول عمر بن أبي ربيعة:

من رسولي إلى الثريا بأني | ضقت ذرعاً بهجرها والكتابِ!

"قوله: "والكتابِ" قسمٌ."[2] ونقل القول في القسم في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥ – ١٦] "وقال ابن عباس في قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ، الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ قال: أقسم ببقر الوحش لأنها خنسُ الأنوف؛ والكنسُ: التي تلزمُ الكناسَ. وقال غيره: أقسم بالنجوم التي تجري بالليل وتخنس بالنهار، وهو الأكثر."[3] يجمع المفسرون أن لله تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته لأنها دالة على قدرته وليس للمخلوق أن يحلف إلا بالله تعالى.ولكن هل في المغايرة بما يقسم الله تعالى به

(١) الكامل: ٢/ ٨٣٣.
(٢) الكامل:٢/ ٧٩٠.
(٣) الكامل:٢/ ٨٦٦.

معنى مقصود أم لمجرد الذكر وتعدد المقسم به؟وبعد التأمل ظهر والله تعالى أعلم أنه سبحانه لا يقسم بشيء في موضع دون غيره إلا لغرض يتعلق بهذا الموضع يكون بين المقسم به والمقسم عليه مناسبة وارتباط وقد يظهر ذلك جليا وقد يكون خفيا.وهذا فعلا ما تقتضيه الحكمة والإعجاز في القرآن... وهنا يقسم بحالات الكواكب على أصح الأقوال في ظهورها واختفائها وجريانها."[1]

٢. التقديم والتأخير:

فطن المبرد للتقديم والتأخير، وكانت معالجته لها سطحية تتمثل بالحكم على الأسلوب، أو تقويمه والحكم عليه من خلال ما يلي:

– وصفه التقديم والتأخير بالحسن إذا وقع موقعا مناسبا، فقد وقف مع قول عروة ابن الورد:

وإن بعدوا لا يأمنون اقترابه تشوف أهل الغائب المتنظر

فذكر أن " قوله:وإن بعدوا لايأمنون اقترابه...على التقديم والتأخير، أراد: لايأمنون اقترابه وإن بعدوا، وهذا حسن في الإعراب إذا كان الفعل الأول في المجازاة ماضياً، كما قال زهير:

وإن أتاه خليل يوم مسألة... يقول: لا غائب مالي ولا حرم "[2] ولعل سر حسنه أن السامع يستطيع فهمه والوصول إلى معناه دون كلفة ومشقّة، فمن صفات هذا الصعلوك أن أعداءه يخافونه ويهابونه حتى إذا بعدوا لا يأمنون رجوعه وعوده فعل أهل الغائب الذي يترقب عوده ورجوعه.

– وهو في تناوله للتقديم والتأخير يحرص على إعادة التركيب إلى وضعه السليم، كما في قول مرة بن محكان السعدي:

ولست وإن كانت إلي حبيبةً بباكٍ على الدنيا إذا ما تولت

---

(١) أضواء البيان: ٩/ ٦٩.

(٢) الكامل: ١/ ١٧٤.

فقد أعاد صياغة البيت، فقال: " إنما هو تقديم وتأخير، أراد: ولست بباكٍ على الدنيا وإن كانت إلي حبيبة. ولولا هذا التقدير لم يجز أن يضمر قبل الذكر، ومثله:

إن تلـق يومـاً علـى علاتـه هرمـاً تلق السماحة منه والندى خلقا خلقا خلقا

وكذلك قول حسان بن ثابت:

قد ثكلت أمه من كنت واحده . . أو كان منتسباً في برثن الأسد

ويقول: من كنت واحده قد ثكلت أمه، وكذلك:

شـــر يوميهـــا وأخـــزاه لهـــا ركبـــت عنـــز بحـــدج جمـــلا

يقول: ركبت عنز بحدج جملا في شر يوميها." [1]" فاستثنى وإن كانت إلي حبيبة استثناء مليحاً، ونوى التقديم والتأخير، فلذلك جاز له أن يأتي بالضمير مقدماً على مظهره"[2] وفي بيت حسّان قَدْ ثَكِلَتْ أُمُّه مَنْ كنت واحِده. وجه الاستشهاد: قدّم الشاعر الخبر، وهو جملة (قد ثكلت أمُّه) على المبتدأ الاسم الموصول (مَنْ) مع أن في جملة الخبر ضمير، وهو(الهاء) في أمّه يعود إلى المبتدأ المتأخِّر، وسهّل ذلك أن المبتدأ وإن وقع متأخراً فهو بمنزلة المتقدم في اللفظ؛ لأن رتبته التقدم على الخبر.

– وقد فطن المبرد في باب التقديم إلى نوع من التقديم، وهو البدء بالشيء والمقدم غيره، فعند قول الصلتان العبدي:

فملتنـــا أننـــا المـــسلمون علـــى ديـــن صـــديقنا والنبـــي

فقوله: " وقوله: على دين صديقنا والنبي...

فالعرب تفعل هذا، وهو في الواو جائز. أن تبدأ بالشيء والمقدم غيره، قال الله عز اسمه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن: ٢]، وقال: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وقال: ﴿ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٣]. وقال حسان بن ثابت:

---

(١) الكامل: ١/ ٢٥٨-٢٥٩.

(٢) العمدة لابن رشيق: ١/ ٦٤٨.

بهاليـل مـنهم جعفـر وابـن أمـه علـي ومـنهم أحمـد المتخيـر

يعني بني هاشم."[1] والواو هنا لا تقتضي الترتيب بل تقتضي مطلق الجمع، فبدأ اللفظ بجعفر ثم جاء بعده بعلي ثم جاء بعده بالنبي صلى الله وسلم عليه وعلى آله أجمعين وهو المقدم على الحقيقة.

٣.المجاز العقلي:

تعرض المبرد لشيء من علاقات المجاز العقلي، ودلل عليه بأمثلته التي تواتر ذكرها في مصنفات البحث البلاغي الخالص، بل تكاد تحليلاته التي جاءت تقف بإزاء تحليلات البلاغيين لذلك النوع من المجاز، وهو وإن لم يذكر له ذلك المصطلح الشائع عندهم، فقد أجراه إجراء يدل على فهمه له. ويتضح من تحليله للشواهد التي درسها فكرة المجاز العقلي، والتي تقوم على إسناد الشيء إلى غير ما هو له في الحقيقة.[2] وينبغي أن يلاحظ أن المبرد في دراسته لعلاقات المجاز العقلي ينصّ أحيانا على تلك العلاقات بذكر أسمائها، وهناك علاقات تفهم من سياق كلامه، ومن العلاقات التي أشار إليها:

أ. علاقة الزمانية:

وقد أشار إليها في تحليله دون تسمية لها، في قول أبي كبير الهذلي:

حملـت بـه فـي ليلـة مـزؤودةٍ كرهـاً، وعقـد نطاقهـا لـم يحلـل

قال المبرد: " مزؤودة: ذات زؤدٍ، وهو الفزع، فمن نصب "مزؤودة " فإنما أراد المرأة. ومن خفض فإنه أراد الليلة، وجعل الليلة ذات فزع، لأنه يفزع فيها، قال الله ﷻ: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] والمعنى: بل مكركم في الليل والنهار: وقال جرير:

لقـد لمتنـا يـا أم غـيلان فـي الـسرى ونمـت، ومـا ليـل المطـي بنـائم

(١) الكامل: ٣/ ١١٠٣.

(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١٥١. (تحقيق: د. عبد القادر حسين).

وقال آخر:

فنام ليلي وتجلى همي..." [1].

فقد أجرى المجاز العقلي في البيت على رواية الجر في (مزؤودة) بإسناد الفزع إلى الليلة (ذات فزع) لعلاقة الزمانية، وأكد على ما ذكره بسرد شيء من الشواهد للمجاز العقلي وعلاقته الزمانية.

ومن أمثلة الزمانية في كتاب الكامل قوله: " ومن أمثال العرب إذا طال عمر الرجل أن يقولوا: "لقد أكل الدهر عليه وشرب"، إنما يريدون أنه أكل هو وشرب دهراً طويلاً، قال الجعدي:

أكل الدهر عليهم وشرب...

والعرب تقول: نهارك صائم، وليلك قائم. أي: أنت قائم في هذا وصائم في ذاك، كما قال الله ﷻ: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] والمعنى والله أعلم، بل مكركم في الليل والنهار، وقال جرير:

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ... ونمت، وما ليل المطي بنائم" [2].

وأنت تلاحظ من خلال كلام المبرد دقة التحليل ودلالته على المجاز العقلي، مشفوعا بشيء من الشواهد التي توضحه.

وأيضا تناول علاقة الزمانية بالتحليل في قول يزيد بن حبناء:

فليس بمهد من يكون نهاره جلاداً ويمسي ليله غير نائم

فقال:" قوله: من يكون نهاره جلاداً ويمسي ليله غير نائم يريد يمسي هو في ليله ويكون هو في نهاره، ولكنه جعل الفعل لليل والنهار على السعة، وفي القرآن: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ والمعنى بل مكركم في الليل والنهار، وقال رجل من أهل البحرين من اللصوص:

أما النهار ففي قيد وسلسلة والليل في جوف منحوت من الساج الساج

---

(١) الكامل:١/ ١٧٥-١٧٦.

(٢) الكامل:١/ ٢٨٥.

وقال جرير:

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم" [1]

وهنا تحليل دقيق من المبرد في إسناد الفعل إلى غير ما هو له بتأول" ولكنه جعل الفعل لليل والنهار على السعة" التي يراد بها التوسع في إطلاق اللفظ واستعماله، وهو ما سمي عند البلاغيين فيما بعد بالمجاز.

ب. علاقة المصدرية:

وقد سماها المبرد باسمها، وتعرض لها في تحليلاته للشواهد الأدبية، ومن ذلك:

وقال أعرابي أنشدنيه أبو العالية:

ألا تسأل ذا العلم ما الذي يحل من التقبيل في رمضان؟

فقال لي المكي: أما لزوجةٍ فسبع، وأما خلةٍ فثمان

قوله: "خلةٍ" يريد ذات خلة، ويكون سماها المصدر، كما قالت الخنساء:

فإنما هي إقبال وإدبار

يجوز أن تكون نعتتها بالمصدر لكثرته منها، ويجوز أن تكون أرادت ذات إقبال وإدبار، فحذفت المضاف وأقامت المضاف إليه مقامه، كما قال ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧] فجائز أن يكون المعنى بر من آمن بالله، وجائز أن يكون ذا البر من آمن بالله، والمعنى يؤول إلى شيء واحد.[2]

وهنا يتضح للناظر معرفة المبرد بهذه العلاقة، كما أنه أبرز السر في استعمال علاقة المصدرية مجازا، لكثرة الإقبال والإدبار من الناقة.

وقد يوضع اسم الفاعل موضع المصدر في جانب المجاز العقلي، كما أشار إلى ذلك المبرد في قول الفرزدق:

---

(١) الكامل: ٣/ ١٣٥٦.

(٢) الكامل: ١/ ٣٧٤-٣٧٥.

ألــم تَرَنــي عاهَــدْتُ رَبّــي وإنَّنــي	لَبَــــيْنَ رِتَــــاجٍ قائِمــــاً ومَــــقامِ
علــى حَلْفَــةٍ لا أشْــتُمُ الــدَّهْرَ مُــسْلِماً	ولا خارِجــــاً مِــــن فِــــيَّ زُورُ كَــــلامِ

" وقوله: "ولا خارجاً" إنما وضع اسم الفاعل في موضع المصدر. أراد: لا أشتم الدهر مسلماً، ولا يخرج خروجاً من في زور كلام، لأنه على ذا أقسم، والمصدر يقع في موضع اسم الفاعل، يقال: ماءٌ غور، أي: غائر. كما قال الله ﷻ: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ [الملك: ٣٠]، ويقال: رجل عدلٌ، أي عادل، ويوم غم، أي: غائم. وهذا كثير جداً.فعلى هذا جاء المصدر على فاعل... وجاء على "مفعول"، نحو رجل ليس له معقول، وخذ ميسوره، ودع معسوره، لدخول المفعول على المصدر. يقال رجل رضاً، أي: مرضي، وهذا درهم ضرب الأمير، أي: مضروب، وهذه دراهم وزن سبعةٍ، أي: موزونة "[1]

٤. التقييد بالشرط:

اقتصر حديث المبرد على تبيان أصل (لو) ودلالتها الشرطية، مشيرا إلى أن (لو) قد يتوسع فيها لتنوب عن (إن) في الدلالة، وهي الدلالة الشرطية المقيدة بـ (لو) " فـ "لو" أصلها في الكلام أن تدل على وقوع الشيء لوقوع غيره، تقول: لو جئتني لأعطيك، ولو كان زيد هناك لضربته، ثم يتسع فتصير في معنى " إن " الواقعة للجزاء تقول: أنت لا تكرمني ولو أكرمتك، تريد " وإن " قال الله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ [يوسف: ١٧] فأما قوله ﷻ: ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾ [آل عمران: ٩١] " فإن تأويله عند أهل اللغة: لا يقبل أن يتبرأ به وهو مقيم على الكفر، ولا يقبل إن افتدى به."[2] وقد عقد المبرد مقارنة بين (إن) و(لو) من حيث الدلالة والعمل، فقال: " فـ "لو" في معنى " إن " وإنما منع "لو" أن تكون من حروف المجازاة فتجزم كما تجزم " إن " أن حروف المجازاة إنما تقع لما لم يقع، ويصير الماضي معها في معنى المستقبل تقول: إن جئتني أعطيتك، وإن قعدت عني زرتك، فهذا لم يقع،.وإن كان لفظ الماضي لما أحدثته فيه " إن" وكذلك متى أتيتني أتيتك،.و"لو" تقع في معنى الماضي، تقول: لو جئتني أمس لصادفتني، ولو ركبت إلي أمس لألفيتني، فلذلك خرجت من حروف الجزاء"[3] ومن أحكامها أن " "لو" لا يليها إلا الفعل مضمراً أو مظهراً،. لأنها تشارك حروف الجزاء في ابتداء الفعل

(١) الكامل: ١/١٥٦.
(٢) الكامل: ١/٣٦١.
(٣) الكامل: ١/٣٦١-٣٦٢.

وجوابه، تقول: لو جئتني لأعطيتك.. فهذا ظهور الفعل، وإضماره، قوله ﷻ: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ﴾ [الإسراء: ١٠٠]" والمعنى والله أعلم: لو تملكون أنتم.. فهذا الذي رفع " أنتم " ولما أضمر ظهر بعده ما يفسره، ومثل ذلك: " لو ذات سوارٍ لطمتني " أراد لو لطمتني ذات سوارٍ، ومثله:

ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي... جعلت لهم فوق العرانين ميسماً

وكذلك قول جرير:

لـو غيـركم علـق الزبيـر بحبلـه أدى الجـوار إلـى بنـي العـوام

فنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده، لأنها للفعل، وهو في التمثيل: لو علق الزبير غيركم "[1].

ثالثا: الجمل:

١. الإيجاز والإطناب:

أ. الإيجاز:

أولا: إيجاز القصر:

للمبرد إشارات تدلل على قيمة إيجاز القصر، وتحليلات تسجل له في هذا الفن البلاغي، فمن ذلك ما نقله من تعليق العتبي على أول خطبة خطبها عمر بن الخطاب بقلة اللفظ وكثرة المعنى " ومما يؤثر من هذه الآداب ويقدم قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في أول خطبة خطبها حدثنا العتبي قال: لم أر أقل منها في اللفظ، ولا أكثر في المعنى حمد الله وأثنى عليه وهو أهله، وصلى على نبيه محمد ﷺ ثم قال:

أيها الناس، إنه والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له، ولا أضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه.

ثم نزل." [2] وقد حلل المبرد وجه جمالها بما اشتملت عليه من إيجاز واف وبديع أحسن فيه انتقاء الألفاظ الدالة على المعنى، إضافة إلى ما اتخذ فيها من الألفاظ المتضادة المشاكلة المستحسنة " وإنما حسن هذا القول مع ما يستحقه من قبل الاختيار، بما عضده به من الفعل المشاكل له"[3].

---

(١) الكامل: ١/٣٦٣-٣٦٤.

(٢) الكامل: ١/١٨.

(٣) الكامل: ١/١٩.

إن المبرد يستحسن الإيجاز الدال في الكلام ويعده من البلاغة، وشخصية عمر بن الخطاب تمثل عنده أحد الأفذاذ الذين تميزوا بالإيجاز في القول، وحسن اختيار الكلام، واستحق في خطبته عن القضاء أن يوصف كلامه بالإيجاز المحمود " ومن ذلك رسالته في القضاء إلى أبي موسى الأشعري وهي التي جمع فيها جمل الأحكام، واختصرها بأجود الكلام،و جعل الناس بعده يتخذونها إماماً،ولا يجد محق عنها معدلاً، ولا ظالم عن حدودها محيصاً، وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس. سلام عليك، أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له. آس بين الناس بوجهك، وعدلك، ومجلسك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحاً أحل حراماً، أو حرم حلالاً. لا يمنعنك قضاءٌ قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك، وهديت فيه لرشدك، أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديمٌ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل. الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنةٍ،ثم اعرف الأشباه والأمثال،فقس الأمور عند ذلك، واعمد إلى أقربها إلى الله، وأشبهها بالحق، واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينة أمدا ينتهي إليها فإن أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا استحللت عليه القضية، فإنه أنفى للشك، وأجلى للعمى، المسلمون عدولٌ بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد، ومجرباً عليه شهادة زور، أو ظنيناً في ولاء أو نسب، فإن الله تولى منكم السرائر، ودرأ بالبينات والأيمان. وإياك والغلق والضجر، والتأذي بالخصوم والتنكر عند الخصومات، فإن الحق في مواطن الحق ليعظم الله به الأجر، ويحسن به الذخر، فمن صحت نيته، وأقبل على نفسه كفاه الله بينه وبين الناس، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله، فما ظنك بثواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام."[1]

ومما ذكره من بلاغة عمر بن الخطاب في إيجاز القصر، قوله: " قال عمر بن الخطاب: قد ألنا وإيل علينا؛ تأويل ذلك: قد ولينا وولي علينا. وهذه كلمة جامعة، يقول: قد ولينا

---

(١) الكامل: ٢٠/١-٢١.

فعلمنا ما يصلح الوالي، وولي علينا فعلمنا ما يصلح الرعية." [1] فقوله:" كلمة جامعة" تبين ما حوت هذه الجملة من ألفاظ وجيزة ومعان كثيرة. كما نقل عن السلف ما يؤكد ثناءهم على إيجاز القصر" وقال معاوية لعباس بن صحار العبدي: ما أقرب الاختصار؟ فقال لمحة دالةٌ.وقيل:خيرُ الكلام ما أغنى اختصاره عن إكثاره." [2]

ثانيا: إيجاز الحذف:

تتسم لغتنا بالإيجاز، ويبدو أن السر في اهتمام العرب القدماء به" راجع إلى ظروف مجتمعهم، فقد كان مجتمعا تشيع فيه الأمية، وتندر فيه الكتابة، ولهذا كان عليهم أن يعتمدوا على ذاكرتهم من ناحية الإبقاء على أدبهم الذي يصور حياتهم، وعلى تناقله عن طريق الرواية جيلا بعد جيل من ناحية أخرى"[3].

إن مدار الإيجاز قائم على الحذف" لأن موضوعه على الاختصار، وذلك إنما يكون بحذف ما لا يخل بالمعنى، ولا ينقص من البلاغة، بل أقول: لو ظهر المحذوف لنزل قدر الكلام عن علو بلاغته، ولصار إلى شيء مسترك مسترذل ولا بد من الدلالة على ذلك المحذوف، فإن لم يكن هناك دلالة عليه فإنه قد يكون لغوا من الحديث، ولا يجوز الاعتماد عليه، ولا يحكم بكونه محذوفا بحال"[4] وقد قال المبرد: " من كلام العرب الاختصار المفهم، والإطناب المفخم".[5]

وقد اعتنى المبرد بالحذف فيما يمر عليه من شواهد، فيحرص على إبراز المحذوف في التركيب، ذلك أن الإيجاز عنده يحتل مكانة محمودة، ومنزلة رفيعة، وشواهد ذلك كثيرة في جانب الحرف والكلمة والجملة والجمل.

فمن شواهد حذف الحرف: قوله: " ومما يستحسن لفظه ويستغرب معناه، ويحمد اختصاره قول أعرابي من بني كلاب:

---

(١) الكامل:٣/١٠٩٢.

(٢) الكامل:٢/٨٨٤.

(٣) في تاريخ البلاغة العربية، عبد العزيز عتيق: ١٠٨-١٠٩.

(٤) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ٢/٩٢.

(٥) الكامل: ١/٤٠.

فمن يك لم يغرض فإني وناقتي بحجرٍ إلى أهل الحمى غرضان

تحن فتبدي ما بها من صبابة وأخفي الذي لولا الأسى لقضاني

يريد: لقضى علي، فأخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أحسن مخرج، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٣] والمعنى إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم، ألا ترى" أن" أول الآية ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢] فهؤلاء أخذوا منهم ثم أعطوهم، وقال الله ﷻ: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ [الأعراف: ١٥٥] أي: من قومه، وقال الشاعر:

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركت ذا مال وذا نشب

أي أمرتك بالخير، ومن ذلك قول الفرزدق:

ومنا الذي اختير الرجال سماحةً وجوداً إذا هب الرياح الزعازع

أي: من الرجال، فهذا الكلام الفصيح.

وتقول العرب: أقمت ثلاثاً ما أذوقهن طعاماً ولا شراباً، أي: ما أذوق فيهن، وقال الشاعر:

ويوماً شهدناه سليماً وعامراً... قليلاً سوى الطعن النهال نوافله" [1] فاستعمال الحذف الذي لا يزعزع الأسلوب له عند المبرد قيمة، وقد وصفه بالكلام الفصيح.

وفي قول الحارث بن خالد المخزومي:

فر عبد العزيز إذ راء عبسا وابن داود نازلا قطريا

عاهد الله إن نجا ملمنايا ليعودن بعدها حرميا

أشار المبرد إلى حذف الحرف " وقوله: ملمنايا يريد من المنايا، ولكنه حذف النون لقرب مخرجها من اللام، فكانتا كالحرفين يلتقيان على لفظ فيحذف أحدهما، ومن كلام العرب أن يحذفوا النون إذا لقيت لام المعرفة ظاهرة، فيقولون في بني الحارث وبني

(١) الكامل: ١/٤٦-٤٩.

العنبر وما أشبه ذلك؛ بلحارث وبلعنبر وبلهجيم كما يقولون: علماء بنو فلان فحذفون إحدى اللامين."[1]

إن المبرد لا يكتفي بالإشارة إلى المحذوف، بل يذكر الغرض من الحذف والسر البلاغي منه" وأما قوله: "لقضاني" فإنما يريد: لقضى علي الموت، كما قال الله ﷻ: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ ﴾ [سبأ: ١٤] فالموت في النية، وهو معلوم بمنزلة ما نطقت به، فلهذا ناسب قوله ﷻ: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ ﴾ وكذلك قوله: ﴿كَالُوهُمْ﴾ فالشيء المكيل معلوم، فهو بمنزلة ما ذكر في اللفظ، ولا يجوز: مررت زيداً وأنت تريد: مررت بزيد، لأنه لا يتعدى إلا بحرف جر، وذلك أن فعل الفاعل في نفسه، وليس فيه دليل على المفعول نفسه، وليس هذا بمنزلة ما يتعدى إلى مفعولين، فيتعدى إلى أحدهما بحرف جر، وإلى الآخر بنفسه، لأن قولك: اخترت الرجال زيداً، قد علم بذكرك" زيداً "أن حرف الجر محذوف من الأول."[2]. فحذف لأجل العلم به، ومن ذلك: قول أعرابي من بني سعد في خلاف الدمامة:

ولما التقى الصفان واختلف القنا ... نهالاً وأسباب المنايا نهالها

تبين لي أن القماءة ذلة ... وأن أشداء الرجال طوالها

دعوا: يا لسعد وانتمينا لطيء ... أسود الشرى إقدامها ونزالها

" والشرى: موضع كثير السباع، وإنما يريد: كإقدام أسد الشرى إقدامها، ثم حذف لعلم السامع."[3]

وقد يقصد إلى الحذف طلبا للخفة في النطق، خاصة إذا كان السامع لديه علم بما سيقول القائل، كما في قصة الفرزدق مع من استجار بقبر غالب جد الفرزدق" ومنهم مكاتب لبنى منقر، ظلع بمكاتبته، فأتى قبر غالب فاستجار به، وأخذ منه حصيات فشدّهنّ في عمامته، ثم أتى الفرزدق فاخبره، وقال: إني قد قلت شعراً، فقال: هاته، فقال:

---

(١) الكامل: ٣/ ١٢٩٥.

(٢) الكامل: ١/ ٥٠.

(٣) الكامل: ١/ ١٢٧.

بقبر ابن ليلى غالب عذت بعدما خشيت الرّدى أو أن أرد على قسر

بقبر امرئ تقري المئين عظامه ولم يك غلاّ غالباً ميّتٌ يقري

فقال لي استقدم أمامك إنّما فكاكك أن تلقى الفرزدق بالمصر

فقال له الفرزدق: ما اسمك؟ قال: لهذم، قال: يالهذم، حكمك مسمّطاً، قال: ناقة كوماء سوداء الحدقة، قال: يا جارية، اطرحي إلينا حبلاً، ثم قال: يا لهذام اخرج بنا إلى المربد، فألقه في عنق ما شئت. فتخير العبد على عينه، ثم رمى الحبل في عنق ناقةٍ وجاء صاحبها، فقال له الفرزدق: اغد عليّ في ثمنها، فجعل لهذا يقودها والفرزدق يسوقها حتى إذا نفذ بها من بيوت إلى الصحراء، صاح به الفرزدق: يا لهذام، قبح الله أخسرنا؟!".[1] فقد وقف المبرد عند قول الفرزدق: " يا لهذم، حكمك مسمطا" فقال:" وأما قوله "حكمك مسمّطاً" فإعرابه أنه أراد: لك حكمك مسمّطاً، واستعمل هذا فكثر، حتى حذف استخفافاً، لعلم السامع بما يريد القاتل، كقولك: "الهلال والله"، أي: هذا الهلال، وأغنى عن قوله: "هذا"، القصد والإشارة. وكان يقال لرؤبة: كيف أصبحت؟ فيقول: خير عافاك الله. فلم يضمر حرف الحفض، ولكنه حذف لكثرة الاستعمال." [2] فكثرة الاستعمال طلبا للخفة أحد أسباب الحذف عند المبرد، وفي ذكر القصد والإشارة دليل على المحذوف.

ومن حذف الحرف عند العرب طلبا للخفة جاء تعليق المبرد على قول إسحاق بن خلف البهراني:

ولبس العجاجة والخافقات تريك المنا برؤوس الأسل

بقوله: " قوله: "تريك المنا" يريد المنايا وهذه كلمة تخف على ألسنتهم فيحذفونها، وزعم الأصمعي أنه سمع العرب تقول: درس المنا، يريدون المنازل، وجاء في التخفيف أعجب من هذا، حدثنا بعض أصحابنا عن الأصمعي وذكره سيبويه في كتابه ولم يذكر

---

(١) الكامل: ٢/ ٦١٢.

(٢) الكامل: ٢/ ٦١٦- ٦١٧.

قائله، ولكن الأصمعي قال: كان أخوان متجاوران لا يكلم كل واحد منهما صاحبه سائر سنته حتى يأتي وقت الرعي. فيقول أحدهما لصاحبه: ألا تا؟ فيقول الآخر: بلى فا، يريد: ألا تنهض؟ فيقول الآخر: بلى فانهض. وحكى سيبويه في هذا الباب:

بالخير خيراتٍ وإن شراً فا ولا أريد الشر إلا أن تا

يريد: وإن شراً فشر، ولا أريد الشر إلا أن تريد."[1]

ومن أسرار الحذف عند المبرد: الحذف للمبالغة" والعرب تحذف مثل هذا، فيقول القائل: مررت بالفيل أو أعظم، وإنه كالبقّة أو أصغر"[2]

ومن الحذف حذف الفعل للاختصاص، كما في قول أبي مخزوم النهشلي يفخر بقومه:

إنا بني نهشل لا ندعي لأبٍ عنه، ولا هو بالأبناء يشرينا

" ونصب "بني" على فعل مضمر للاختصاص، وهذا أمدح، ومثله:

نحن بني ضبة أصحاب الجمل

أراد نحن أصحاب الجمل، ثم أبان من يختص بهذا، فقال: أعني بني ضبة"[3]

وقد يشير المبرد إلى الفعل المحذوف دون ذكر سبب الحذف، كما في قول الفرزدق:

على حين ألهى الناس جل أمورهم فندلاً زريق المال ندل الثعالب

فقد وقف عند المصدر(ندلا) فقال: " فنصب" ندلاً "بفعل مضمر وهو" أندلي "وهذا في الأمر، تقول: ضرباً زيداً، وشتما عبد الله، لأن الأمر لا يكون إلا بفعل، فكان الفعل فيه أقوى، فلذلك أضمرته، ودل المصدر على الفعل المضمر، ولو كان خبراً لم يجز فيه الإضمار، لأن الخبر يكون بالفعل وغيره، والأمر لا يكون إلا بالفعل. قال الله ﷻ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا

---

(١) الكامل: ٢/٥٣١-٥٣٢.

(٢) الكامل: ٢/٨٧٦.

(٣) الكامل: ١/١٤٦.

فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ [محمد: ٤]. فكان في موضع "اضربوا"، حتى: كان القائل قال: فاضربوا، ألا ترى أنه ذكر بعده محضاً في قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ ﴾ [محمد: ٤] ولو نون منون في غير القرآن لنصب "الرقاب" وكذلك كل موضع هو بالفعل أولى."[1] وفيه إشارة صريحة من المبرد على دليل الحذف، وهو المصدر(ندلا) الذي دل على الفعل المضمر.

ومن حذف الفعل لعلم المخاطب به ما أشار إليه المبرد في قول يزيد بن حبناء:

فليس بمهد من يكون نهاره جلاداً ويمسي ليله غير نائم

" أراد من يكون نهاره يجالد جلاداً، كما تقول: إنما أنت سيراً، وإنما أنت ضرباً تريد تسير سيراً، وتضرب ضرباً، فأضمر لعلم المخاطب أنه لا يكون هو سيراً"[2]

والمبرد حريص على ذكر ما يدل على المحذوف حتى يكون الحذف مقبولا، فقد أشار إلى حذف الفعل

وذكر دليل الحذف في شعر الأعشى الذي يعاتب فيه يزيد بن مسهرٍ الشيباني، وهو قوله:

هريرةَ ودعها وإن لام لائمٌ غداة غدٍ أم أنت للبينِ واجمٌ

لقد كان في حولٍ ثواءٍ ثويتهُ تقضى لباناتٌ ويسأم سائمٌ

فقوله: " "هريرةَ ودعها وإن لامَ لائمٌ" منصوب بفعل مضمر، تفسيره ودعها كأنه قال: ودع هريرة، فلما اختزل الفعل أظهر ما يدل عليه، وكان ذلك أجود من ألا يضمرَ، لأن الأمر لا يكون إلا بفعل، فأضمر الفعل إذ كان الأمر به أحق "[3] كما أشار أهمية وجود ما يدل على الحذف بقوله: " ولو قال: رأيت زيداً أو شبيهاً لجاز، لأنّ في الكلام دليلاً، ولو قال: رأيت الجمل، أو راكباً، وهو يريد: "عليه": لم يجز لأنه لا دليل فيه، والأول إنما قرّب شيئاً من شيءٍ"[4].

---

(١) الكامل:٢٤١/١-٢٤٢.

(٢) الكامل:١٣٥٦/٢.

(٣) الكامل:٨٢١/٢.

(٤) الكامل:٨٧٦/٢.

ومن الحذف: حذف المضاف، كما قال العجاج:

ناج طواه الأين مما وجفا طي الليالي: زلفاً فزلفا

" ناج: سريع. و الأين: الإعياء. و الوجيف: ضرب من السير.ونصب "طي الليالي" لأنه مصدر من قوله: "طواه الأين". وليس بهذا الفعل، ولكن تقديره: طواه الأين طياً مثل طي الليالي، كما تقول: زيد شرب الإبل، إنما التقدير يشرب شرباً مثل الإبل. "فمثل" نعت، ولكن إذا حذفت المضاف استغنى بأن الظاهر يبينه، وقام ما أضيف إليه مقامه في الإعراب. من ذلك قول الله تبارك تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢] نصب لأنه كان: "واسأل أهل القرية". وتقول: بنو فلان يطؤهم الطريق، تريد أهل الطريق فحذفت " أهل " فرفعت " الطريق " لأنه في موضع مرفوع.فعلى هذا فقس إن شاء الله." [1] فهنا إشارة من المبرد إلى أن المضاف حذف من هذه الشواهد وأقيم المضاف إليه مقامه، وقوله" استغنى بأن الظاهر يبينه" فيه إشارة إلى الدليل المحذوف وقرينة الحذف التي لا بد منه فيما حذف.

وربما أورد المبرد الشاهد وما فيه من حذف دون ذكر السر من حذفه، كما في قول الشاعر:

وما هي إلا في إزارة وعلقةٍ مغار ابن همام على حي خثعما

" يريد زمن إغارة ابن همام." [2]

ومن حذف المضاف: " وقال كثير لما حبس عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية في خمسة عشرة رجلاً من آله في سجن عارم:

تخبر من لاقيت أنك عائذ بل العائذ المحبوس في سجن عارم

وصي النبي المصطفى وابن عمه وفكاك أعناق وقاضي مغارم

أراد ابن وصي النبي. والعرب تقيم المضاف إليه في هذا الباب مقام المضاف، كما قال الآخر:

---

(١) الكامل: ١/١٩٧-١٩٨.

(٢) الكامل: ١/٢٦٢.

صبحن من كاظمة الخص الخرب يحملن عباس بن عبد المطلب

يريد ابن عباس ﷺ.

وقال الفرزدق لسليمان بن عبد الملك:

ورثتم ثياب المجد فهي لبوسكم عن ابني مناف: عبد شمس وهاشم

يريد ابني عبد مناف."[1]

ومن إشارات الحذف عند المبرد: حذف المبتدأ، فقد أشار إليه في قول ذي الرمة:

وما الخرق منه يرهبون ولا الخنى عليهم ولكن هيبة هي ماهيا

" إذا رفعت "هيبة" فالمعنى: ولكن أمره هيبةٌ، كما قال الله ﷻ: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، أي: ذلك بلاغ، ومثله قوله ﷻ: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [محمد: ٢١]، يكون رفعه على ضربين: أحدهما: أمرنا طاعة وقول معروف، والوجه الآخر: طاعةٌ وقولٌ معروف أمثل. ومن نصب هيبة أراد المصدر،أي: ولكن يهاب هيبةً."[2] فقد وجه المبرد الإعراب في بيت ذي الرمة على حذف المبتدأ، ومثله آية الأحقاف، أو على حذف الفعل ويكون المصدر قد ناب عنه في محله وفي الشاهد الثالث ذكر الأوجه الجائزة فيه بأن يكون على حذف المبتدأ أو على حذف الخبر. ومن حذف الخبر، قول مهلهل بن ربيعة:

فلو تشر المقابر عن كليبٍ فتخبر بالذنائب أي زيرا!

" فلما أدرك مهلهلٌ بثأر كليبٍ، قال أي زيرا! فرفع أياً بالابتداء، والخبر محذوف، فكأنه قال: أي زير أنا في هذا اليوم!"[3]

---

(١) الكامل: ٣ / ١١٢٥.

(٢) الكامل: ٢ / ٥٧٣ - ٥٧٤.

(٣) الكامل: ٢ / ٧٤٠.

ومن الحذف: حذف الجار والمجرور، فقد أشار إليه المبرد مبينا الغرض من الحذف في قول الفرزدق:

إن الذي سمك السماءَ بنى لنا ... بيتاً دعائمه اعز وأطول

فقال: "جائزٌ أن يكون قال للذي يخاطبه: من بيتكَ،فاستغنى عن ذكر ذلك بما جرى من المخاطبة والمفاخرة، وجائز أن تكون دعائمه عزيزةً طويلةً فأما قول مالك بن نويرة في ذؤاب بن ربيعة حيث قتل عتيبة بن الحارث بن شهابٍ، وفخر بن أسدٍ بذلك، مع كثرة من قتلت بنو يربوع منهم:

فخرت بنو أسدٍ بمقتل واحدٍ ... صدقت بنو أسدٍ عتيبةُ أفضلُ

فإنما معناه أفضل ممن قتلوا، على ذلك يدل الكلامُ، وقد أبان ما قلنا في بيته الثاني بقوله:

فخروا بمقتلهِ ولا يوفي به... مثنى سراتهم الذين نقتل"[١] فقد حذف الجار والمجرور بعد اسم التفضيل، وهو جائز عند النحاة إذا وجد دليل يدل على الحذف.[٢]

ومن حذف المفعول قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، مجاز الآية أن المفعول الأول محذوف، ومعناه: يخوفكم من أوليائه.[٣]

ب.الإطناب:

١.التكرار:

للمبرد إشارات وتحليلات في التكرار سواء المعنوي منه أو اللفظي:

فمن التكرار المعنوي: " وقال رسول الله ﷺ: "ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة؟ أحاسنكم أخلاقاً، الموطأون أكنافاً،الذين يألفون ويؤلفون، ألا أخبركم بأبغضكم إلي وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة؟ الثرثارون المتفيهقون".

---

(١) الكامل:٢/٨٧٧-٨٧٨ .

(٢) انظر: شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك: ٣/٥١-٥٢.

(٣) الكامل:٣/١٥٠٣.

فقد وقف المبرد عند لفظة (المتفيهقون) فأبرز صلتها بما سبقها من لفظ، فقال: " "المتفيهقون" إنما هو بمنزلة قوله: "الثرثارون" توكيد له، ومُتَفَيْهِق متفيعل، من قولهم: فهق الغدير يفهق إذا امتلأ ماءً فلم يكن فيه موضع مزيد، كما قال الأعشى:

نفى الذم عن رهط المحلق جفنةٌ كجابية الشيخ العراقي تفهق[1].

ويلاحظ أنه أطلق على التكرار توكيدا، وكأنه يشير إلى الغرض الذي من أجله أعيدت اللفظة. وفي موضع آخر وقف عند قوله تعالى: وقال تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥] و قرىء "حرجاً"، فمن قال: "حرجاً" أراد التوكيد للضيق، كأنه قال: ضيق شديد الضيق. أي: بقراءة الكسر.[2] ونستطيع القول إن من أبرز الأغراض التي يحققها التكرار المعنوي التوكيد، وقد أبرزه المبرد جليا فيما تناول من شواهد.

وربما استفدنا من المبرد أنه يضيف الاتباع إلى التكرار المعنوي المفيد توكيدا في الكلام " قوله:

قبح الإله وجوه قوم رضع... وقوم يقولون: هو توكيد للئيم، كما يقولون: جائع نائع، وحسن بسن، وعطشان نطشان، وأجمع أكتع. وقوم يقولون: الراضع هو الذي يرتضع من الضرع لئلا يسمع الضيف و الجار صوت الحلب فيطلب منه." [3]" ويقال: عفرية نفرية، على التوكيد"[4]

وقد وقف المبرد مع بيت ذي الرمة:

ورمل كأوراك العذارى قطعته وقد جللته المظلمات الحنادس

مشيرا إلى التوكيد المعنوي في عجز البيت "الحندس: الشديد الظلمة، وهو توكيد لها، يقال: ليل حندس، وليل أليل، ويوم يم كما يقال: ليل مظلم." [5] وهو في تحليله يبين الهدف من اقتران اللفظين ومعناهما واحد.

---

(١) الكامل: ٩/١.
(٢) الكامل: ٣٨٢/١.
(٣) الكامل: ٧١٤/٢.
(٤) الكامل: ١٠١٠/٢.
(٥) الكامل: ١٠١٣/٢

ومن التكرار اللفظي تناول المبرد قول الفرزدق، وقد نزل به ذئبٌ فأضافه:

وأطلس عسالٍ وما كان صاحباً رقعت لناري موهناً فأتاني

فلما دنا قلت أدن دونك إنني وإياك في زادي لمشتركان

" وقوله: "فلما دنا قلت ادن دونك" أمر بعد أمرٍ، وحسن ذلك لأن قوله: "أدن" للتقريب، وفي قوله: "دونك"،أمره بالأكل، كما قال جرير لعياش بن الزبرقان:

أعياش قد ذاق القيون مواسمي... وأوقدت ناري فادن دونك فاصطل"[1] وهنا وقف المبرد مع التكرار اللفظي في (أدن دونك) وبين وجه الحسن فيه، وكأنه يشير إلى أن التكرار كله ليس مستحسنا، وإنما الحسن منه ما وقع موقعا مصيبا وأفاد فائدة حسنة.

ومن التكرار اللفظي:

قول مخيس بن أرطأة الأعرجي لرجل من بني حنيفة:

فقلت له: تجنب كل شيء يعاب عليك، أن الحر حر

" وقوله: "إن الحر حر" إنما تأويله أن الحر على الأخلاق التي عهدت في الأحرار، ومثل ذلك:

أنا أبو النجم وشعري شعري

أي: شعري كما بلغك، وكما كنت تعهد، وكذلك قولهم: الناس الناس، أي الناس كما كنت تعهدهم.قال أبو الحسن: ومنه قول الله ﷻ: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨]"[2] فهذا تفسير وتوضيح للتكرار اللفظي الوارد في هذه الشواهد، وأنه ليس معيبا.

٢. الإيضاح بعد الإبهام:

وعلاقة المبرد بهذا المبحث تتضح في تحليلاته التي أجرى فيها الإيضاح والإبانة بعد الإبهام، ومن ذلك:" ومثله: نحن بني ضبة أصحاب الجمل... أراد نحن أصحاب الجمل، ثم أبان من يختص بهذا، فقال: أعني بني ضبة وقرأ عيسى بن عمر: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ

(١) الكامل: ٤٧٦/١.

(٢) الكامل: ٦٢/١.

﴿ ٱلْحَطَبِ ﴾ [المسد: ٤] أراد وامرأته: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [المسد: ٥] ثم عرفها بحمالة الحطب.." [١] فالضمير (نحن) يحمل إبهاما أوضحه ما بعده.

وفي قول أعرابي من بني سعد بن زيد مناة تميم:

تقول وصكت صدرها بيمينها أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

أبرز ما يكتنف جملة (بالرحى المتقاعس) من بيان بإقحام لفظة الرحى، فـ " جعل "المتقاعس" اسماً على وجهه، وجعل قوله: "بالرحى" تبييناً بمنزلة "لك" التي تقع بعد قولك: "سقياً"، وبمنزلة "بك" التي تقع بعد قولك: "مرحباً" " [٢]

٢.التتميم:

فطن المبرد لشاهد التتميم في قصة الكسائي ويونس بن حبيب. ورجح البيت على ذلك " ويروى أن يونس بن حبيبٍ قال لأبي الحسن الكسائي: كيف تنشد بيت الفرزدق؟ فأنشده:

غداة أحلت لابن أصرم طعنةً حصين عبيطات السدائف والخمر

فقال الكسائي لما قال:

"غداة أحلت لابن أصرم طعنة حصين عبيطات السدائف.."

تم الكلام. فحمل الخمر على المعنى. أراد: وحلت له الخمر، فقال له يونس: ما أحسن ما قلت ولكن الفرزدق أنشدنيه على القلب، فنصب الطعنة ورفع العبيطات والخمر على ما وصفنا من القلب. والذي ذهب إليه الكسائي أحسن في محض العربية، وإن كان إنشاد الفرزدق جيداً."[٣]

فأخرج الكلام على التتميم دون أن يسميه، وإنما أشار إليه بقوله: تم الكلام.

---

(١)الكامل: ١٤٦/١-١٤٧.

(٢) الكامل: ٥١/١-٥٢.

(٣) الكامل: ٤٧٦/١.

٣. الزيادة:

أبرز المبرد الزيادة الواردة في بعض التراكيب، مثل وقوفه على قول الشاعر:

ويومــاً توافينــا بوجــهٍ مقــسم   كــأن ظبيــة تعطــو إلــى وارق الــسلم

فقـال:" ومـن قـال: "كـأن ظبيـة "جعـل" أن" زائـدة، وأعمـل الكـاف: أراد: كظبيـة، وزاد"أن" كما تزيدها في قولك: لما أن جاء زيدٌ كلمته، و والله أن لو جئتني لأعطيك."[1] والزيادة المرادة هنا هي الزيادة في الحرف. وأما الزيادة في اللفظة فقد تطرق إليها من خلال تحليله لقول جرير يمدح هشام بن عبد الملك:

إذا بعــض الــسّنين تعرّقتنــا   كفــى الأيتــام فقــد أبــي اليتــيم

" وقوله:إذا بعض السّنين تعرّقتنا... يفسر على وجهين: أحدهما: أن يكون ذهب إلى أن بعض السنين يؤنث، لأنه سنة وسنون، كما قال الأعشى:

وتــشرق بــالقول الــذي قــد أذعتــه   كمــا شــرقت صــدر القنــاة مــن الــدّم

لأن صدر القناة قناةٌ. ومن كلام العرب: ذهبت بعض أصابعه. لأن بعض الأصابع إصبع. فهذا قول.

والأجود أن يكون الخبر في المعنى عن المضاف إليه، فأقحم المضاف توكيداً، لأنه غير خارج من المعنى، وفي كتاب الله ﷻ: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤] إنما المعنى: فظلّوا لها خاضعين، والخضوع بيّن في الأعناق، فأخبر عنهم، فأقحم الأعناق توكيداً. وكان أبو زيد الأنصاريّ يقول: أعناقهم جماعاتهم، تقول: أتاني عنقٌ من النّاس، والأول قول عامّة النحويين. وقال جرير:

لمــا أتــى خبــرُ الزبيــرِ تواضــعتُ   ســورُ المدينــةِ والجبــالُ الخــشعُ

---

(١) الكامل: ١/ ١١٢.

وقال أيضاً:

رأت مـرَّ السنينَ أخـذن مِنّـي   كمـا أخـذ السـرارُ مـن الهـلالِ

وقال ذو الرمة:

مشينَ كما اهتزت رماح تسفهت   أعاليها مـرُّ الريـاح النواسـم

ومثل هذا كثير، وعلى مثل هذا القول الثاني تقول: "يا تيم تيم عدي" لأنك أردت: "يا تيم عدي"، وأقحمت الآخر توكيدا، وكذلك: لا أبا لك، لأن الألف لا تثبت في الأب في النصب إلا في الإضافة، أولا بدلاً من التنوين، فإنما أراد لا أباك ثم اقحم اللام توكيداً للإضافة، وأنشد المازني:

وقـد مـات شـماخ ومـات مـزرد   وأي كـريم لا أبـاك يخلـدُ!

وقال آخر:

أبـا لمـوت الـذي لا بـد أنـي   مـلاقٍ لا أبـاك تخـوفيني!"[1]

ففي بيتي جرير وبيت ذي الرمة برزت الزيادة في (مرّ) و(سور) لتحقق المعنى، إذ لما كانت السنون لا تكون إلا بمرّ أخبر عن السنين، ولا معنى للسنين إلا مرّها، وفي قوله: (تسفّهت الرياح...) أنّثَ الفعل (تسفهتْ) بتاء التأنيث مع أنّ فاعله (مَرُّ) مذكّر، وذلك لأنه اكتسب التأنيث من المضاف إليه

(الرياح) وجاز ذلك لِصِحّة الاستغناء عن المضاف بالمضاف إليه. قال سيبويه:" كأنّه قال تسفَّهَتْها الرِّياحُ."[2] ومثله: (سور المدينة)، لأنّ السورَ من المدينة لَمَّا أضافه إلى المؤنّث جعل له حكمه، وكانت الزيادة تأكيدا للخبر الملقى.

وقد تناول المبرد ثلاث صور من الزيادة تتمثل في إقحام المضاف إليه، والمنادى، والحرف مبينا الغرض من الزيادة فيما ذكر، وهو التوكيد.

---

(١) الكامل: ٢/٦٦٨–٦٧٠.

(٢) كتاب سيبويه: ١/٦٥.

ومن إقحام المضاف إليه" وقال رجل من طيء، أنشده أبو زيد الأنصاري:

يـا قــرط قــرط حيــي لا أبــالكم　　يـا قــرط إنــي علـيكم خـائف حــذر

قوله: "يا قرط قرط حيي" نصبهما معاً أكثر على ألسنة العرب، وتأويله: أنهم أرادوا "يا قرط حيي" فأقحموا" قرطاً" الثاني توكيداً، وكذلك:

يــا تــيم تــيم عــدي لا أبــالكم　　لا يلقيــــنكم فــــي ســــوءة عمــــر

ومثله:

يــا زيــد زيــد الــيعملات الــذبل　　تطــــاول الليــــل عليــــك فــــانزل "(1)

٢.الوصل والفصل:

ثمت نصوص ساقها المبرد تدل على فهمه لهذا الفن بوجه من الوجوه فهما فطريا تذوقيا، قد يكون له مدخل في الفصل والوصل البلاغي على الرغم من أن المبرد لم يشر إلى الفصل والوصل بوصفهما مصطلحين بلاغيين بل كان اهتمامه منصبا على عطف المفردات، وبيان أدوات العطف ومعانيها.

ومن إشاراته: وقوفه مع قول الفرزدق:

فبــت أقــد الــزاد بينــي وبينــه　　علــى ضــوء نــارٍ مــرة ودخــان

والنظر في العطف الجاري بين ضوء نار ودخان وسر ذلك " وقوله: على ضوء نارٍ مرة ودخان... يكون على وجهين: أحدهما على ضوء نار، وعلى دخانٍ أي: على هاتين الحالتين ارتفعت النار أو خبت. وجائز أن يعطف الدخان على النار، وإن لم يكن للدخان ضياءٌ، ولكن للاشتراك كما قال الشاعر:

ياليــــت زوجــــك قــــد غــــدا　　متقلــــداً ســــيفاً ورمحــــا

---

(1) الكامل: ٣ / ١١٣٩–١١٤٠.

لأن معناهما الحمل، وكما قال:

شـــراب ألبـــانٍ وتمـــرٍ وأقـــط

فأدخل التمر في المشروب لاشتراك المأكول والمشروب في الحلوق وهذه الآية تحمل على هذا: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ ﴾ [الرحمن: ٣٥] والشواظ: اللهب لا دخان له والنحاس: الدخان، وهو معطوف على النار، وهي مخفوضة بالشواظ لما ذكرت لك.."[١] ويبدو أنه يريد بالاشتراك الاشتراك المعنوي بين اللفظتين في طبخ الزاد.

وإذا كان الأمر كذلك فإن الواو عند المبرد تجمع بين اللفظين ومعناهما مختلف لكن لفائدة بلاغية كالمجاورة مثلا كما في (متقلدا سيفا ورمحا) (شراب ألبان وتمر وأقط) (شواظ من نار ونحاس).[٢]

ويبين المبرد سر العطف في النيب والجزر مع أنهما صفتان للإبل وبمعنى واحد في قول الشاعر:

ألا ليتـــه يعطـــي الجمـــال بديئـــة لـــه جفنـــة تـــشقى بهـــا النيـــب والجـــزر

" وقولها: "تشقى بها النيب والجزر" فإنما عطفت أحدهما على الآخر لأن من الإبل ما يكون جزوراً للنحر لا غير." [٣]

ومن أحكام الواو العاطفة التي ذكرها المبرد، أنه إذا كان العطف بالواو فإن العرب تقدم أو تؤخر، أما إذا كان العطف بـ (ثم) أو (الفاء) لم يصح إلا تقديم المقدم " قال حسان بن ثابت:

ومـازال فـي الإسـلام مـن آل هاشـم دعـــائم عـــز لاتـــرام ومفخـــر

بهاليـل مـنهم جعـفر وابـن أمـه علـــيّ ومـــنهم أحمـــد المتخيّـــر

---

(١)الكامل:١/٤٧٦-٤٧٧.

(٢) انظر ما قاله الثعالبي في فقه اللغة: ٢١١وما بعدها.

(٣) الكامل: ٢/٦٨١.

فقال: منهم كما قال هذا من نفره، من النفر الذين العباس هذا الممدوح منهم. وأما قول حسّان: منهم جعفر وابن ابن أمه عليّ ومنهم أحمد المتحيز فإن العرب إذا كان العطف بالواو قدمت وأخرت، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن: ٢]، وقال: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وقال: ﴿ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٣]، ولو كان بثم أو بالفاء لم يصلح إلا تقديم المقدم، ثم الذي يليه واحداً فواحدا." [1] ولعلنا نأخذ من هذا النص الإشارة إلى دلالة الواو في الجمل المعطوفة على مطلق الجمع، بعكس الفاء وثم فإن دلالة كل منهما محدودة مخصوصة.

أما جملة الحال، فهناك إشارة من المبرد توحي بتناوله لأحد مواضعها، في قول ابن جعيل:

أرى الشأم تكره أهل العراق وأهل العراق لهم كارهينا

ونص تحليله كما يلي:" وقول ابن جعيل: وأهل العراق لهم كارهينا...محمول على "أرى" ومن قال: وأهل العراق لهم كارهونا... فالرفع من وجهين: أحدهما قطعٌ وابتداءٌ، ثم عطف جملة على جملة بالواو، ولم يحمله على أرى، ولكن كقولك كان زيدٌ منطلقاً، وعمرو منطلقٌ الساعة، خبرت بخبر بعد خبر، والوجه الآخر أن تكون الواو وما بعدها حالاً، فيكون معناها "إذ"، كما تقول رأيت زيداً قائماً وعمرو منطلق، تريد إذ: عمرٌو منطلق. وهذه الآية تحمل على هذا المعنى، وهو قول الله ﷻ: ﴿ يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، والمعنى والله أعلم: إذ طائفةٌ في هذه الحال وكذلك قراءة من قرأ: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ [لقمان: ٢٧]، أي والبحر هذه حاله، وإن قرأ ﴿ وَٱلْبَحْرُ ﴾ فعلى "أن" [2] والوجه الآخر الذي ذكره المبرد يمثل فهمه للجملة الحالية، فقد أجراها بما يبين هيئة الحال في البيت والآية والمثال.

رابعا: تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر:

١.الالتفات:

فطن المبرد للالتفات، وذكر أن العرب تستعمله في كلامها، كما أشار إلى صورة من الالتفات، وهي الالتفات من المؤنث إلى المذكر في قول ذي الرُّمة:

---

(١) الكامل:٢/ ٥٢٩.

(٢) الكامل:١/ ٤٢٥.

ولكنني أقبلت من جانبي قسا أزورُ فتًى نجداً كريماً يمانيا

من آلِ أبي موسى ترى القوم حولَهُ كأنَّهمُ الكِرْوانُ أبصرْنَ بازيا

" وقوله: من آل أبي موسى ترى القوم حوله...

فقال: ترى، ولم يقل ترين، وكانت المخاطبة أولاً لامرأة، ألا تراه يقول:

وما كنت مذ أبصرتني في خصومةٍ أراجع فيها يا ابنة الخير قاضياً

ثم حوّل المخاطبة إلى رجل، والعرب تفعل ذلك. قال الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ [يونس: ٢٢]، فكأن التقدير والله اعلم كان للناس، ثم حولت المخاطبة إلى النبي ﷺ. وقال عنترة بن شدّاد:

شطّت مزار العاشقين فأصبحت عسراً عليّ طلابك ابنة مخرم

وقال جرير:

ما للمنازل لا يجبن حزينا أصممن أم قدم المدى قبلينا

وترى العواذل يبتدرن ملامتي وإذا أردن سوى هواك عصينا

فقال أولاً لرجل، ثم قال: سوى هواك. وقال آخر:

فديٌ لك والدي وسراة قومي ومالي إنه منه أتاني

على تحويل المخاطبة." [1] ولنا في هذا التحليل وقفات، منها: أن مفهوم الالتفات عند المبرد يتسع ليشمل صورا كثيرة تدور حول الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، ولذلك فإن الانتقال من المذكر إلى المؤنث ومن المفرد إلى الجمع يدخل تحت مفهوم الالتفات عند المبرد، وشيء آخر يؤسس وجود الالتفات عند العرب وأنهم كانوا يستعملونه في كلامهم، وما ذكره المبرد من شاهد الآية الكريمة كان أحد الشواهد التي اعتمد عيها

(١) الكامل: ٢/٥٧٢-٥٧٣.

البلاغيون في صور الالتفات في الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، وإن كان المبرد يجري الآية في الانتقال من الجمع إلى المفرد.

إن المبرد يذكر لنا من صور الالتفات ما يدل على فهمه لهذا المصطلح البلاغي الذي تناوله البلاغيون بصوره الست، وفي كلامه الآتي رسم لشيء من صور الالتفات، وهي: الالتفات من الغائب إلى الشاهد، والالتفات من الشاهد إلى الغائب، وقد جاء تحليله لقول الأعشى:

وأمْتَعني على العشا بِوليدةٍ ... فأبْتُ بخيرٍ منكَ يا هوذَ حامِدا

" وأما قوله:

وأمتعني على العشا بوليدة ... فأبت بخير منك يا هوذ حامدا

فإنه كان يتحدث عنه، ثم أقبل عليه يخاطبه، وترك تلك المخاطبة.

والعرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد، ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب. قال الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ [يونس: ٢٢]. كانت المخاطبة للأمة، ثم صرفت إلى النبي ﷺ إخباراً عنهم. وقال عنترة:

شطت مزار العاشقين فأصبحت ... عسراً علي طلابك ابنة مخرم

فكان يحدث عنها ثم خاطبها. ومثل ذلك قول جرير:

وترى العواذل يبتدرن ملامتي ... فإذا أردن سوى هواك عصينا

وقال الآخر:

فدى لك والدي وسراة قومي ... ومالي إنه منه أتاني

وهذا كثير جداً." [1] وتأمل (وهذا كثير جدا) وما يعطيه من تأكيد لورود للالتفات كثيرا في كلام العرب مما يعطيه تأصيلا في لغتنا العربية.

---

(١) الكامل: ٢/ ٩١٠.

٢.التغليب:

أشار المبرد إلى التغليب، وبين مفهومه وهو يناقش قول الفرزدق:

عـشيةَ سـالَ المربـدانِ كلاهمـا عجاجـةَ مـوتٍ بالـسيوفِ الـصوارمِ

" وقوله: عشية سال المربدان كلاهما... يريد المربد وما يليه مما جرى مجراه، والعرب تفعل هذا في الشيئين إذا جريا في باب واحد، قال الفرزدق:

أخـذنا بآفـاق الـسماء عليكم لنـا قمراهـا والنجـوم الطوالـع

يريد الشمس والقمر، لأنهما قد اجتمعا في قولك. "النيران"، وغلب الاسم المذكر، وإنما يؤثر في مثل هذا الخفة، وقالوا: "العمران" لأبي بكر وعمر، فإن قال قائل: إنما هو عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، فلم يصب، لأن أهل الجمل نادوا بعلي بن أبي طالب رحمه الله عليه: أعطنا سنة العمرين. فإن قال قائل: فلم لم يقولوا: أبوي بكر، وأبو بكر أفضلهما فلأن عمر اسم مفرد، وإنما طلبوا الخفة. وأنشدني التوزي عن أبي عبيدة لجرير:

ومـا لتغلـب إن عـدوا مـساعيهم نجـم يـضيء ولا شـمس ولا قمـر

مـا كـان يرضى رسـول الله فعلهـم والعمـران أبـو بكـر ولا عمـر

هكذا أنشدنيه. وقال آخر: قدني من نصر الخبيبين قدي..يريد عبد الله ومصعبا ابني الزبير، وإنما أبو خبيب عبد الله"[1]

والفائدة التي يتأتى لها التغليب طلب الخفة والإيجاز في العبارة كما أشار إلى ذلك المبرد. ويكون التغليب في أمور كثيرة، منها: تغليبُ المذكّر على المؤنّث، وتغليب الكثير على القليل، وتغليب المعنى على اللفظ، وتغليب المخاطب على الغائب، وتغليب أحد المتناسبين أو المتشابَهيْن أو المتجاورَيْنِ على الآخر، وتغليب العقلاء على غيرهم، إلى غير ذلك من أمور، أشار إليها المبرد في شواهده.

---

(١) الكامل: ١/١٨٦-١٨٨.

٣. القلب:

القلب من المباحث التي فطن لها المبرد وحللها في شواهده، وسمى القلب باسمه أو المقلوب، وذكر متى يجوز استعمال القلب في الكلام؟ وذلك عند قول الفرزدق يصف ذئبا:

وأطلَس عَسَّالٍ وَمَا كَانَ صَاحِبا رفعتُ لنَاري مَوْهِناً فأتَاني

" وقوله: "رفعت لناري"، من المقلوب، إنما أراد رفعت له ناري والكلام إذا لم يدخله لبسٌ جاز القلب للاختصار. قال الله ﷻ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦]. والعصبة تنوء بالمفاتيح، أي: تستقل بها في ثقلٍ، ومن كلام العرب: إن فلانة لتنوء بها عجيزتها، والمعنى لتنوء بعجيزتها، وأنشد أبو عبيدة للأخطل:

أما كليب بن يربوع فليس لها عند التفاخر إيرادٌ ولا صدر

مخلفون ويقضي الناس أمرهم وهم بغيبٍ وفي عمياء ما شعروا

مثل القنافذ هدّاجون قد بلغت نجران أو بلغت سوءاتهم هجر

فجعل الفعل للبلدتين على السعة."[1] والمبرد يشير في هذا النص إلى أن العرب تفعله اتساعا، أي: من باب المجاز والتوسع في اللغة التي تتسع لهذا الاستعمال، كما أن الغرض من القلب الاختصار في الكلام.

وطريقة المبرد في إجراء القلب بإعادة الكلمة إلى أصلها، كما في وقوفه مع قول عويف القوافي:

بحَرُكَ عَذبُ الماء ما أعقه ربُّك والمَحْروم مَنْ لم يُسقَهُ

---

(١) الكامل: ١/٤٧٥.

" وقوله: بحرك عذبُ الماءِ ما أعقهُ...مقلوبٌ، إنما هو ما أقعه ربك. يقال: ماء قعاعٌ، وماءٌ حراقٌ. فالقعاع: الشديد الملوحة، يقول: ما أملحه ربك، والحراقُ: الذي يحرقُ كل شيءٍ بملوحته، والماء العذب يقال له: النقاخُ، وما دون ذلك شيئاً يقال له: المسوسُ. أنشد أبو عبيدة:

لو كنت ماءً كنتَ لا عذبَ المذاقِ ولا مسوسا"[1]

كما اجرى القلب بتقديم بعض الحروف على بعض في قول الحارث بن خالد المخزومي:

فر عبد العزيز إذ راء عبسا وابن داود نازلا قطريا

" قوله: إذ راء عبسا، الأصل رأى ولكنه قلب فقدم الألف وأخر الهمزة، كما قال كثير:

وكل خليل راءني فهو قائل من أجلك هذا هامة اليوم أو غد

والقلب كثير في كلام العرب" [2] وفي هذا النص إشارة إلى كثرة استعمال القلب في كلام العرب، مما يؤكد تأصل جذوره في لغة العرب.

رابعا: البيان:

١. التشبيه:

إذا كان التشبيه يحتل مكانة كبرى في أساليب البلاغة والبيان، ذلك أنه شيء مركوز في طباع البشر، يلجئون إليه لإبراز المعنى وتوكيده في نفس المتلقي، فلا غرو أن يلتفت المبرد إلى تحليله، والاهتمام بإبرازه، ودراسة كثير من شواهده. ولا أبالغ إذا قلت إن أبرز مجهود شخصي بذله المبرد فيما يتعلق بالبلاغة العربية، ذلك الباب الطريف الذي عقده للتشبيه، فهو في هذا الباب كله لم يعتمد على أسلافه من علماء البلاغة والنحو واللغة، وإنما اعتمد على استقرائه في الشعر العربي، وجمع الشواهد الشعرية التي تحقق له إفراد باب بأكمله في موضوع واحد،وهو التشبيه "[3] والمبرد في هذا الباب يورد

---

(١) الكامل:٢/٨٤٣-٨٤٤.

(٢) الكامل:٣/١٢٩٤-١٢٩٥.

(٣) أثر النحاة في البحث البلاغي:٢٣٠.

أمثلة لا تنتهي، وشواهد لا حصر لها من شعر العرب في كل لون من ألوان التشبيه على تنوعها، وشدة اختلافها، وذلك لإيمانه بسعة هذا الباب " حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد"[1] وقد برز لي من أسرار عناية المبرد بالتشبيه:

– أنه كان يفسر وجه الشبه الجامع بين المشبه والمشبه به، فقد وقف المبرد عند بيت الأعشى الذي احتوى على تشبيه في قوله:

نفى الذم عن رهط المحلق جفنةٌ كجابية الشيخ العراقي تفهق

" كذا ينشده أهل البصرة، وتأويله عندهم أن العراقي إذا تمكن من الماء ملأ جابيته لأنه حضري فلا يعرف مواقع الماء ولا محالة. قال أبو العباس: وسمعت أعرابية تنشد قال أبو الحسن: هي أم الهيثم الكلابية من ولد المحلق، وهي راوية أهل الكوفة: "كجابية السيح" تريد النهر الذي يجري على جابيته، فماؤها لا ينقطع، لأن النهر يمده.ومثل قول البصريين فيما ذكروا به" العراقي الشيخ "قول الشاعر قال أبو الحسن: " هو ذو الرمة":

لها ذنب ضاف وذفرى أسيلة وخد كمرآة الغريبة أسجح

يقول: إن الغريبة لا ناصح لها في وجهها، لبعدها عن أهلها، فمرآتها أبداً مجلوة، لفرط حاجتها إليها."[2] فالمبرد يعقد العلاقة بين المشبه والمشبه به ليتضح التشبيه وهو الجلاء والصفاء والوضوح، بل هو هدف من أهدافه عند تحليل التشبيه، لأن المرأة الغريبة تتعهد مرآتها من الجلاء بما لا يتعهد غيرها وتتفقد من محاسن وجهها مالا يتفقده سواها فمرآتها أبدا مجلوة.

ومما أبرز فيه وجه الشبه، قول السليك يرثي فرسه، وكان يقال له النحام، فقال:

كأن قوائم النحام لما تحمل صحبتي أصلاً محار

(١) الكامل: ٢/٩٩٦.

(٢) الكامل: ١/٩-١٠.

" قوله: كأن قوائم النحام محار... المحارة: الصدفة، يريد الملاسة، وأنه قد ارتفعت قوائمه للموت."[1] فوجه الشبه بين قوائم والمحار الملاسة، أي: كأنها صدف تمرّ على كل شيء.

وفي قول امرؤ القيس في طول الليل:

كـأن الثريـا علقـت فـي مـصامها بـأمراس كتـان إلـى صـم جنـدل

"فهذا في ثبات الليل وإقامته. والمصام: المقام. وقيل للممسك عن الطعام: صائم، لثباته على ذلك. ويقال: صام النهار: إذا قامت الشمس."[2] والمعنى أنه يصف طول الليل بقوله: " كأن النجوم مشدودة بحبال إلى حجارة. فالصورة فيه بديعة ودقيقة.

وفي موطن آخر نراه يجري التشبيه في البيت الشعري إجراء دقيقا ليبرز صورة التشبيه الجميلة، كما في قول طخيم بن أبي الطخماء الأسدي يمدح قوماً من أهل الحيرة:

معـي كـل فـضفاض القمـيص كأنـه إذا مـا سـرت فيـه المـدام فنيـق

" وأما الفنيق فإنه الفحل من الإبل، وإنما أراد خطرانه بذنبه من الخيلاء. فشبه الرجل من هؤلاء إذا انتشى بالفحل، وهو إذا خطر ضرب بذنبه يمنة وشأمة"[3] وهو تشبيه تمثيلي وإن لم يسمه المبرد، تتجلى فيه صورة التركيب بين الطرفين: الرجل المتمايل بكبريائه وخيلائه في بدنه وحركته والفحل الذي يتمايل بذنبه يمنة ويسرة.

إن صورة التشبيه تتضح كثيرا في ذهن المبرد، وفي البيت القادم يبرز المشبه والمشبه به داخل تحليله للبيت.

قال جميل معمر:

مـا صـائب مـن نابـلٍ قـذفت بـه يـدٌ، وممـر العقـدتين وثيـق

لـه مـن خـوافي النسر حـم نظـائرٌ ونـصل كنـصل الزاعبـي فتيـق

---

(١) الكامل: ٢/ ٩٧٠.

(٢) الكامل: ٢/ ٩٩٢.

(٣) الكامل: ١/ ٦٠-٦١.

"وقوله: كنصل الزاعبي، شبّه نصل السهم بنصل الرمح الزاعبي، وهو منسوب إلى رجل من الخزرج يقال له زاعبٌ، كان يعمل الأسنة، هذا قول قوم. وأما الأصمعي فكان يقول: الزاعبي: الذي إذا هز فكأن كعوبه يجري بعضها في بعضٍ للينه وتثنيه، يقال مر يزعب بحمله إذا مر به مراً سهلاً."[1] ووجه الشبه ما يجري من استقامة أو لين وتثنٍ في الطرفين يجعل الصفة المشتركة بينهما متقاربة.

إن المبرد في تحليله للتشبيه يبرز المحذوف الذي جرى في التشبيه كما في قول العجاج:

ناج طواه الأين مما وجفا طي الليالي: زلفاً فزلفا

فقد أبرز المحذوف (مثل) وهي أداة التشبيه مبينا لم نصب المصدر (طي الليالي)؟

" ونصب "طي الليالي" لأنه مصدر من قوله: "طواه الأين". وليس بهذا الفعل، ولكن تقديره طواه الأين طياً مثل طي الليالي، كما تقول: زيد شرب الإبل، إنما التقدير: يشرب شرباً مثل الإبل، "فمثل" نعت."[2] وواضح أن المصدر المشبه به جاء لتقريب صورة التشبيه لدى السامع.

وقد يبرز المبرد وجه الشبه بين الطرفين لهدف تقريب المعنى، ولا يكتفي بذلك، بل يبين لماذا أوثر المشبه في البيت الشعري؟ وأثر هذا الاختيار على صورة التشبيه في قول الشاعر:

وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى كثير تواليه سريع البوادر

"وقوله: "كمثل الليل" يقول: كثرة، فيكاد يسد سواده الأفق، ولذلك يقال: كتيبة خضراء، أي: سوداء، وكانت كتيبة رسول الله ﷺ التي هو فيها والمهاجرون والأنصار يقال لها: الخضراء."[3]

ومن ذلك إشارته إلى المثل وسر اختيار المشبه به فيه، كما في قولة أبي بكر " ولتألمن النوم على الصوف الأذري كما يألم أحدكم النوم على حسك السعدان..." [4]"

---

(١) الكامل: ٩٧/١.

(٢) الكامل: ١٩٧/١.

(٣) الكامل: ٧٣٧/٢.

(٤) الكامل: ١١/١.

وقوله: "على حسك السعدان". فالسعدان نبت كثير الحسك تأكله الإبل فتسمن عليه، ويغذوها غذاءً لا يوجد في غيره، فمن أمثال العرب: "مرعى ولا كالسعدان "تفضيلاً له"[1]

وفي قول قيس بن عاصم بن سنان بن خالدِ بن منقر بن عبيد:

وتـــاجرٍ فـــاجرٍ جـــاء الإلـــه بـــه كـــأن عثنونـــه أذنـــاب أجمـــالي

" قال ذلك؛ لأن ذنب البعير يضرب إلى الصهبةِ، وفيه استواء، وهو يشبه اللحية." [2]

وقد درج المبرد على توضيح العلاقة بين الطرفين في التشبيه، كما في قول عمر بن أبي ربيعة:

أبرزوهـــا مثـــل المهـــاةِ تهـــادى بـــين خمـــس كواعـــبٍ أتـــرابِ

" المهاةُ، البقرةُ في هذا الموضع، وتشبه المرأة بالبقرة من الوحش لحسن عينيها ولمشيتها، والبقرةُ يقال لها: العيناءُ، والجماعُ العينُ، وكذلك يقالُ للمرأةِ. وتكون المهاةُ البلورة في غير هذا الموضع. وقوله: "تهادى" أي: يهدي بعضها بعضاً في مشيتها، ومشية البقرةِ تستحسنُ، قال ابن أبي ربيعةَ:

أبـــصرتها غـــدوة ونـــسوتها يمـــشين بـــين المقـــامِ والحجـــرِ

يمـشين فـي الـريط والمـروط كمـا تمـشي الهـوينى سـواكنُ البقـر[3]

وللمبرد اهتمام بتشبيهات المرأة عند العرب " قال الله جل وعز: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩]، والعرب تشبه النساء ببيض النعام، تريد نقاءه ورقة لونه، قال الراعي:

كـأن بـيض نعـام فـي ملاحفهـا إذا اجـتلاهن قـيظ ليلـه ومـد

وقيل للأوسية – وهي امرأة حكيمة في العرب – بحضرة عمر بن الخطاب رحمه الله: أي منظر أحسن؟ فقالت: قصور بيض، في حدائق خضر. فأنشد عمر بن الخطاب لعدي بن زيد:

---

(١) الكامل: ١/١٣.

(٢) الكامل: ٢/٧١١.

(٣) الكامل: ٢/٧١١.

كـــدمى العـــاج فـــي المحاريـــب أو كـالبيض فـي الـروض زهـره مـستنير

وقال آخر:

كـالبيض فـي الأدحـي يلمـع بالـضحى فالحـــسن حـــسن والنعـــيم نعـــيم

وقال جرير:

مـا استوصف النـاس مـن شـيء يـروقهم إلا رأوا أم نـــوح فـــوق مـــا وصـــفوا

كأنهـــا مـــزنة غـــرّاء رائحـــة أو درة مـــا يـــواري ضـــوءها الـــصدف

المزنـة: السحابة البيضاء خاصة، وجمعها مزن، قال الله جل وعز: ﴿ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٩] والمرأة تشبه بالسحابة لتهاديها وسهولة مرها، قال الأعشى:

كـأن مـشيتها مـن بيـت جارتهـا مـــر الـــسحابة لا ريـــث ولا عجـــل

الريث: الإبطاء، فهذا ما تلحقه العين منها، فأما الخفة فهي كأسرع مار، وإن خفي ذلك على البصر، قال الله جل وعز: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ [النمل: ٨٨].

والعرب تشبه المرأة بالشمس، والقمر، والغصن، والكثيب، والغزال، والبقرة الوحشية، والسحابة البيضاء، والدرة، والبيضة، وإنما تقصد من كل شيء إلى شيء.

قال ذو الرمة:

ومية أحسن الثقلين جيداً وســـالفة وأحـــسنهم قـــذالا

فلـــم أر مثلهـــا نظـــراً وعينـــاً ولا أم الغـــــزال ولا الغـــــزالا

تريـــك بيـــاض غرتهـــا ووجهـــاً كقـــرن الـــشمس أفتـــق ثـــم زالا

أصـــاب خـــصاصة فبـــدا كلـــيلاً كـــلا وانغـــل ســـائره انغـــلالا

الجيد: العنق، والسالفة: ناحية العنق، والقذالان: ناحيتا القفا من الرأس.

وقوله: أفتق ثم زالا، يقال: أفتق السحاب، إذا انكشف انكشافة فكانت منه فرجة يسيرة بين السحاب. تقول العرب: دام علينا الغيم ثم أفتقنا، وإذا نظر إلى الشمس والقمر من فتق السحاب فهو أحسن ما يكون وأشده استنارة. وقوله: كلا يريد في سرعة ما بدا ثم غاب. وقال الله ﷻ: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨]، وقال تبارك وتعالى: ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٣].

والمكنون: المصون، يقال: كننت الشي، إذا صنته. وأكننته، إذا أخفيته، فهذا المعروف، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٥] وقد يقال: كننته، أخفيته.

وقد قال جرير في يزيد بن عبد الملك. وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن سفيان:

الحزم والجود والإيمان قد نزلوا ... على يزيد أمين الله فاحتلفوا

ضخم الدسيعة والإيمان، غرته ... كالبدر ليلة كاد الشهر ينتصف

وقال ذو الرمة:

فيا ظبية الوعساء بين جلاجل ... وبين النقا آأنت أم أم سالم

وقال ابن أبي ربيعة:

أبصرتها ليلة ونسوتها ... يمشين بين المقام والحجر

يرفلن في الريط والمروط كما ... تمشي الهوينى سواكن البقر

فهذه تشبيهات غريبات مفهومة.[1] وفي قوله:(وإنما تقصد من كل شيء إلى شيء) تنبيه على أن العرب لا تعمد إلى التشبيه إلا ولها هدف وغرض منه. ويلاحظ أن المبرد يهتم اهتماما كبيرا بإيجاد الجامع بين المشبه والمشبه به كما في أبيات ذي الرمة

---

(١) الكامل:٢ /٩٤٨-٩٥٢.

آنفة الذكر،ومفهوم الغرابة الذي أطلقه المبرد على بعض التشبيهات يعطي معنى الندرة في الصورة التشبيهية، فهي تشبيهات نادرة الاختيار صورها غير مكرورة ولا مطروقة. ومما سبق يبرز فهم المبرد للتشبيه باستخدام عبارات البلاغيين في إجراء التشبيه: (شبه،تشبه، يشبه...) ويذكر المبرد أن العرب تشبه المرأة بتشبيهات منوعة " والمرأة تشبه ببيضة النعامة كما تشبه بالدرة، قال الله ﷻ: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ والمكنون: المصون، والمكن: المستور، يقال: أكننت السر، قال الله ﷻ: ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ﴾ وقال أبو دهبل، وأكثر الناس يرويه لعبد الرحمن بن حسان:

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغو ... اص ميزت من جوهر مكنون

وقال ابن الرقيات:

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغو ... لها في النساء خلقٌ عميم"[1]

ومن تشبيهات المرأة التي ذكرها تشبيهها بالبردية والقصبة وقد أبرز العلاقة بين المشبه والمشبه به، قال أعرابي:

جيدةِ سربال الشباب كأنها ... أباءةُ برديٍّ سقتها غيولها

" وقوله: "أباءةُ بردي" الأباءة: القصبةُ، وجمعها الأباءُ، يا فتى...وإنما شبهَ المرأة بالبردية والقصبة لنقاء اللون."[2]

وقد رأيت المبرد يهتم كثيرا بتوضيح المشبه أو المشبه به، فمن ذلك:

ما قاله متمم بن نويرة:

تراه كنصل السيف يهتز للندى ... إذا لم تجد عند امرىء السوء مطمعا

" وتأويل ذلك أنه يتحرك تحرك سرور لفعل الخير." [3] وقوله تعليقا على قول أعرابي:

---

(١) الكامل: ١/٣٨٦-٣٨٧.

(٢) الكامل: ٢/٨٥٩.

(٣) الكامل: ١/٢٤٥.

تـرى القـوم منهـا مطـرقين كأنمـا تـساقوا عقـارا لايبـل سـليمها

" وقولـه: "تـساقوا عقـاراً" يريـد: كـأنهم سـكارى لمـا نـالهم مـن تلـك الحجـة والعقار،اسم من أسماء الخمر.

وإنما سـميت عقـاراً لمعاقرتها الدن."[1] وقولـه: " وقـال المفسـرون فـي قـول الله ﷻ: ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ [القلم: ٢٠] قـولين، قـال قـوم: كالليـل المظلـم، وقـال قـوم: كالنهـار المضيء، أي: بيضاء لا شيء فيها، فهو من الأضداد. ويقال: لك سـواد الأرض وبياضها، أي: عامرها وغامرها، فهذا ما يحتج به لأصحاب القول الأخير، ويحتج لأصحاب القـول الأول فـي السواد بقول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴾ [الأعلى: ٥] ". وإنما سمي السواد سـواداً لعمارته، وكل خضرةٍ عند العرب سواد"[2] .

وفي تشبيه التمثيل للمبرد مشاركات حية في التحليل، كما في قول الشاعر:

إن ابـن بيـضاء وتـرك النـدى كالعبـد إذ قيـد أجمالـه

" كالعبد إذ قيد أجماله... يريد أنه غير مكترث لاكتساب المجد والفضل، وذلك أن العبد الراعي إذا قيد أجماله لف رأسـه ونـام حجـرةً، وهـذا شـبيه بقوله: واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي...

وقولـه: فـدخنوا المـرء وسـرباله..."[3] ويـشم مـن هـذا التحليـل أن المبـرد يرمـي علـى الغرض من التشبيه وهو الذم والقبح.

والمبرد يجري مقارنات بين بعض التشبيهات، ويفضل بعضها على بعض كما في قول إسحاق بن خلف البهراني، ونسبه في بني حنيفة لسباء وقع عليه، يقوله لعلي بن عيسى بن مريم بن موسى بن طلحة الأشعري المعروف بالقمي:

وجـاءت تهـادى وأبناؤهـا كـأن علـيهم شـروق الطفـل

---

(١) الكامل:١/١٤٤.

(٢) الكامل: ١/٣٠٥.

(٣) الكامل:١/٤٧١-٤٧٢.

"وقوله: كأن عليهم شروق الطّفل يريد: تألق الحديد، كأنه شمس طالعة عليهم، وإن لم تكن شمس وأحسن من هذا قوله سلامه بن جندل:

كأن النّعام باض فوق رؤوسهم وأعينهم تحت الحديد جواحم

فهذا التشبيه المصيب." [1] ويفهم من هذا أن التشبيه المصيب ما أجاد صاحبه في اختيار أجزائه وصورته، أو هو الذي لا يتجاوز الواقع، وإنما يصيب به القول دون إفراط.[2] وإذا كان هذا هو فهم المبرد للتشبيه المصيب فلديه شواهد من كلام العرب تؤيد ذلك، فقد عقد بابا طريفا عن التشبيه المصيب، وقال:" قال أبو العباس: وهذا باب طريف نصل به هذا الباب الجامع الذي ذكرناه وهو بعض ما مر للعرب من التشبه المصيب، وللمحدثين بعدهم." [3] وكان أول ما استشهد به بيت امريء القيس، حيث عده من أحسن ما جاء بإجماع الرواة " فأحسن ما جاء بإجماع الرواة –: ما مر لامرئ القيس في كلام مختصر، أي: بيت واحد، من تشبيه شيء في حالتين مختلفتين بشيئين مختلفين، وهو قوله:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي

فهذا مفهوم المعنى، فإن اعترض معترض فقال: فهلا فصل فقال: كأنه رطباً العناب وكأنه يابساً الحشف! قيل له: العربي الفصيح الفطن اللقن يرمي بالقول مفهوماً، ويرى ما بعد ذلك من التكرير عيا، قال الله جل وعز، وله المثل الأعلى: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [القصص: ٧٣]، علماً بأن المخاطبين يعلمون وقت السكون ووقت الاكتساب." [4] فكان بذلك أول من فطن لهذا النوع من التشبيه (تشبيه شيء في حالتين مختلفتين بشيئين مختلفين) أو التشبيه الملفوف وإن لم يسمه، وقد أفاض المبرد في استطراد فيما يستجاد من التشبيه في شعر القدامى والمحدثين وحلل ما أتى به ذاكرًا كثيرًا من أصول التشبيه.

---

(١) الكامل: ٢/٥٣٣-٥٣٤.

(٢) ينظر: أثر النحاة في البحث البلاغي:٢٣٣.

(٣) الكامل:٢/٩٢٢.

(٤) الكامل:٢/٩٢٢-٩٢٣.

كما يستحسن المبرد لونا آخر من التعدد جاء على طريقة الجمع، فيقول:" ومن حسن تشبيه المحدثين قول بشار بن برد العقيلي:

وكـــــأن تحـــــت لـــــسانها هـــــاروت ينفـــث فيـــه ســـحرا

وتخـــال مـــا جمعـــت عليـــه بنانهـــــا ذهـــــباً وعـــــطرا

وهذا التشبيه الجامع."[1] وبذا يكون أول من وضع مصطلح (تشبيه الجمع) الذي يحيط بكثير من أحوال الموصوف عن طريق تعدد المشبه به، وإن كان يفهم من كلامه أن التشبيه المتعدد المحتوي على جمع وترتيب ولف أبرع صور التعدد، وهو كذلك عند النقاد والبلاغيين.[2]

ومما نراه في كتاب الكامل أن المبرد ذكر أبياتا عدها من أعجب التشبيه " ومن أعجب التشبيه قول النابغة:

فإنــك كالليــل الـذي هـو مـدركي وإن خلــت أن المنتــأى عنــك واســع

فتشبيه النعمان بالليل بليغ من حيث المعنى " وإنما قال: كالليل الذي هو مدركي ولم يقل: كالصبح، لأنه وصفه في حال سخطه، فشبهه بالليل وهوله، فهي كلمة جامعة لمعان كثيرة."[3] ولأنه أوضح في بيان الهول الذي كان يكتنف الشاعر، و في الليل دليل على النكتة التي قصدها من أنه لا يفوتُه وإن أبعد في الهرب، وصار إلى أقصى الأرض، لسعة مُلكه وطول يده، وأنّ له في جميع الآفاق عاملاً وصاحبَ جيش ومُطيعاً لأوامره يردُّ الهارب عليه ويسوقه إليه.

ومثله في القدرة قوله:

خطاطيف حجن في حبال متينة تمـــد بهـــا أيـــد إليـــك نـــوازع

(١) الكامل: ٢/ ١٠٥٢-١٠٥٣.

(٢) ينظر: بيان التشبيه(د.عبد الحميد العيسوي): ٤٧.

(٣) عيار الشعر: ٨٠.

لأنه أراد: أنت في قدرتك عليّ كخطاطيف عقفٍ يمد بها، وأنا كدلوٍ تمد بتلك الخطاطيف، فيتجلى المشهد الذي أراده الشاعر من إبراز هول الموقف الذي يمرّ به والنعمان يطارده.

وقوله:

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فقد شبه الممدوح والملوك بالشمس والكواكب[٢] وأضاف على جملة التشبيه: (إذا طلعت لم يبد منهن كوكب) التي وقعت وصفا للمشبه بهما، فأنبأت عن وجه الشبه المحذوف ودلت عيه، وهو: القوة الكبرى التي تستر ما عداها. وهذا مدح له من باب التعظيم والتكريم.

ومن عجيب التشبيه قول ذي الرمة يصف أرضا قطعها:

وردت اعتسافاً والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء محلق

والدقة تبدو جليّة في اختيار المشبه به، وتَحلِيقُ الطّائِرِ: ارْتِفاعُه في طَيَرانِه واستِدارَتُه في الهَواءِ، استعدادا لالتقاط سمكة.

وقوله يصف دارا:

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه على عصويها سابري مشبرق

فشبّه نسج العنكبوت بالثوب الرقيق الممزّق، والعصا: عرقوة الدّلو والإثنان عَصَوانِ.

وتأويله: أنه يصف ماء قديماً لا عهد له بالوراد، فقد اصفر واسود فقال:

وماء قديم العهد بالناس آجن كأن الدبا ماء الغضا فيه يبصق

و الآجن: الماء المتغير من طول العهد والقدم أجن يأجن و يأجن أجونا يقال كأن الدبا يصق في الماء مما أكمل من الغضا أخضر أسود والدبا جراد صغار لم يطر.

ومن التشبيه العجيب قول ذي الرمة في صفة الظليم:

شـخت الجـزارة مثـل البيـت سـائره مـن المـسوح خـدب شـوقب خـشب"[1]

و الشخت: الضئيل اليابس الضعيف، والجزارة: القوام وقوله: مثل البيت سائره من المسوح: يعني إذا مد هذا الطائر جناحيه، وأراد سائره مثل البيت من المسوح يريد بيتاً من شعر شبّهه به لسواده. وخدبّ: ضخم. وشوقب: طويل. قال ابن قتيبة: " هو دقيق القوائم، وسائر خلقه كبيت مسوح، خدب ضخم، شوقب طويل، خشب جاف، مسماكان عودان، صقبان طويلان"[2]

وهنا نتساءل لم عد هذه الأبيات من التشبيه العجيب والأعجب؟ ما ميزان العجب عنده؟ وعند النظر فيما فضل من أبيات نجد أن ميزان العجب عنده فيما تحويه الصورة التشبيهية عنده من اكتمال، ووفاء المشبه به بالدلالة على تقريب المشبه، واتحاد المشبه به والمشبه.

ويتعجب المبرد من دقة الصورة البيانية في قول ذي الرمة:

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه على عصويها سابري مشبرق

" يريد أن الفجر قد نجم فيه. فجاءت – يعني الدلو – بنسج العنكبوت. كأنه على عصويها سابري مشبرق. والسابري: الرقيق من الثياب والدروع والمشبرق: الممزق."[3]

ويغص كتاب الكامل بالكثير من التشبيهات الجيدة والمستحسنة عند المبرد من مثل: قول قَيْس بن ذُريح:

كَـأنَّ القَلْـبَ لَيْلَـةَ قِيـلَ يُغْـدَى بِلَيْلَـى العامِرِيَّـةِ أو يُـراحُ

قَطـاةٌ عَزَّهـا شَـرَكٌ فباتَـتْ تُجاذِبُـهُ وقَـدْ عَلِـقَ الجَنـاحُ

همـا فَرْخـانِ قـد تَرَكـا بِـوَكْرٍ فَعُشُّهُما تُصَفِّقُهُ الرِّياحُ

فَـلا فـي الليـلِ نالَـتْ مـا تَمَنَّـتْ ولا فـي الصُّبْحِ كـانَ لَهـا بَـراحُ

---

(1) الكامل: ٢/٩٢٣-٩٢٦.

(٢) المعاني الكبير لابن قتيبة: ١/٣٤٦ الأبيات في النعام.

(٣) الكامل: ٢/٩٢٥.

والمعنى أنني لما أحسست بالليلة التي همت ليلى بالفراق في صبيحتها أو في وقت الرواح من عشيتها صار قلبي في الخفقان كقطاة وقعت في شرك فبقيت ليلتها تجاذبه والجناح قد علق لا متخلص له.

وتصفيق الرياح تحريكها وهبوبها، أي: وحال القلب حين أحس بما ذكر كحال القطاة المذكورة وقد تركت خلفها فرخين لها فإذا سمعا صوت الريح في عشهما ظنا أنه صوت جناح أمهما..وجمال الصورة التركيبية في الطرفين ودقة التصوير هما اللذان دعوا المبرد إلى جعل هذه الأبيات من المستحسنات في التشبيه، فقال: "وقد قال الشعراء قبله فلم يبلغوا هذا المقدار[1]."

ومن التشبيه المحمود قول الشاعر:

طليق الله لم يمنن عليه ... أبو داود وابن أبي كثير

ولا الحجاج عيني بنت ماء ... تقلب طرفها حذر الصقور

"وهذا غاية في صفة الجبان."[2] وكان الحجاج منسلق الجفان ولذلك شبه بطير الماء، ووجه المحمدة ما روعي في الطرفين من الدقّة في الوصف.

وقول الآخر:

تشكو الخشاش ومجرى النسعتين كما ... أنّ المريض إلى عوّاده الوصب

وشكوى الناقة ما يتبين عليها من هملان عينها وكثرة صريفها، فشبهه بالمريض الذي يشكو ويئن أنينا من فرط ما يجد.

وقال الشماخ – وهذا من التشبيه العجيب:

فقربت مبراة تخال ضلوعها ... من الماسخيات القسي المؤطرا

وذلك بتشبيه ضلوع ناقته بتلك الأقواس الصلبة المتينة المتثنية.

---

(١) الكامل: ٢/ ٩٢٩.

(٢) الكامل: ٢/ ٩٣٠.

وأحسن ما قيل في صفة الضلوع واشتباكها قول الراعي:

وكأنما انتطحت على أثباجها فدر بشابة قد يمن وعولا

أراد: كأن أضلاع هذه الإبل فوق هذه الرمال، وعول انتطحت، فاجتمعت رؤسها وقرونها.

ومن التشبيه المستحسن قول علقمة بن عبدة:

كأن إبريقهم ظبي على شرف مفدم بسبا الكتان ملثوم

والفدام واللثام واحد وهو ما شددته على فم الإبريق أو فم الإنسان ومن ذلك قيل رجلٌ فدمٌ كأن على فمه غطاءٌ وملثوم بلثام وكانت أباريقهم قديماً بأرجلٍ فلذلك شبهوها بالظباء لطول أعناقها وقوائمها، وقد نعت المبرد ذلك بالحسن، "فهذا حسن جداً."[1]

ويصل المبرد بعد ذكر هذه التشبيهات إلى أن التشبيه باب واسع ومفصّل " والتشبيه كثير، وهو باب كأنه لا آخر له، وإنما ذكرنا منه شيئاً لئلا يخلو هذا الكتاب من شيء من المعاني." [2] وقال: " والتشبيه جار كثيراً في كلام العرب، حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم، لم يبعد."[3]

كما تحدث عن وجه الشبه بين الأشياء والجامع بين الطرفين عند العرب ممثلا بما استخدموه من تشبيهات " واعمل أن للتشبيه حداً، لأن الأشياء تشابه من وجوه، وتباين من وجوه، فإنما ينظر إلى التشبيه من أين وقع، فإذا شبه الوجه بالشمس والقمر فإنما يراد به الضياء والرونق، ولا يراد به العظم والإحراق. قال الله جل وعز: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾، والعرب تشبه النساء ببيض النعام، تريد نقاءه ورقة لونه، قال الراعي:

كأن بيض نعام في ملاحفها إذا اجتلاهن قيظ ليله ومد"[4]

---

(١) الكامل: ٢/ ٩٣٤.

(٢) الكامل: ٢/ ١٠٥٧.

(٣) الكامل: ٢/ ٩٩٦.

(٤) الكامل: ٢/ ٩٤٨

فالتشبيه في حقيقته يفيد المغايرة بين الطرفين، كما يقتضي الإلحاق والقياس والاشتراك في بعض الوجوه، مع بقاء حقيقة كل من الطرفين مستقلة بذاتها، متميزة بصفاتها الأخرى التي تميّزها عن الطرف الآخر.

وقد رأيت للمبرد مشاركات نقدية فيما يعرض من صور التشبيه، فنراه ينقل من العلماء توجيهاتهم في أبيات التشبيه، ويعقبها بالتوجيه وإبداء الرأي، كما فعل حين وقف على بيت امرئ القيس:

كأنَّ أباناً في أفانينِ ودقه ... كَبيرُ أُناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ

فقال: " وقوله: كبير أناس في بجاد مزمل... يريد مزملاً بثيابه. قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [المزمل: ١ – ٢] وهو المتزمل بثيابه. والتاء مدغمة في الزاي. وإنما وصف امرؤ القيس الغيث. فقال قوم: أراد أن المطر قد خنق الجبل فصار له كاللباس على الشيخ المتزمل. وقال آخرون: إنما أراد ما كساه المطر من خضرة النبت. وكلاهما حسن. وذكر الودق لأن تلك الخضرة من عمله."[1] وكانت إضافته رائعة في بيان سر اختيار الودق ومناسبته لما ورد في البيت.

ومن مشاركاته المعللة في تقييم التشبيه قوله في بيت زهير:

كَأَنَّ فُتَاتَ العِهْنِ في كلِّ مَنْزِلٍ ... نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الفَنَا لم يُحَطَّمِ

" الفنا: شجر بعينه، يثمر ثمراً أحمر ثم يتفرق في هيئة النبق الصغار. فهذا من أحسن التشبيه، وإنما وصف ما يسقط من أنماطهن إذا نزلن."[2] وكأنه يشير إلى سبب إطلاقه الحسن على هذا البيت، وفيه كما ترى إشارة إلى دقة التشبيه، ووجه الدقة بتشبيهه ما يتناثر من فتات الأرجوان بحب الفنا الذي لم يحطم؛ لأنه أحمر الظاهر أبيض الباطن، فإذا لم يحطم لم يظهر فيه بياض البتة، وكان خالص الحمرة.[3]

---

(١) الكامل: ٢/ ٩٩٤.

(٢) الكامل: ٢/ ٩٩٥.

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ١/ ٦٥٧.

والتشبيه الوهمي حاضر في كتاب المبرد "وقال: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥] وقد اعترض معترض من الجهلة الملحدين، في هذه الآية. فقال: إنما يمثل الغائب بالحاضر، ورؤوس الشياطين لم نرها. فكيف يقع التمثيل بها! فهؤلاء في هذا القول كما قال الله جل وعز: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: ٣٩]. وهذه الآية قد جاء تفسيرها على ضربين: أحدهما، أن شجراً يقال له الأستن، منكر الصورة يقال لثمره "رؤوس الشياطين"، وهو الذي ذكره النابغة في قوله:

تحيد عن أستن سود أسافله ...

وزعم الأصمعي أن هذا الشجر يسمى الصوم.

والقول الآخر – وهو الذي يسبق إلى القلب –: أن الله جل ذكره شنع صورة الشياطين في قلوب العباد. فكان ذلك أبلغ من المعاينة، ثم مثل هذه الشجرة مما تنفر منه كل نفس."[1] فكان المبرد بهذه الإشارة من أسبق من تحدث عن التشبيه الوهمي وإن لم يسمه بما اصطلح عليه البلاغيون فيما بعد.[2]

ويدخل المبرد في التشبيهات المستحسنة التشبيهات التي ينص فيها على قيد خاص في أحد الطرفين أو فيهما، يكون له مدخل في إصابة وجه الشبه، إدراكا منه لأهمية القيد في اكتمال وصحة المراد من الصورة، يقول:" ومن تمثيل امرئ القيس العجيب قوله:

كأن عيون الوحش حول خبائنا و أرحلنا الجزع الذي لم يثقب"[3]

وفي جانب تقسيم التشبيه فإن المبرد يعدّ من أوائل من قسّم التشبيهات إلى تقسيمات متعددة. بدأها بالتشبيه المصيب، وجعله أهم أقسام التشبيه، وعنى به التشبيه " الذي لا يتجاوز الواقع، وإنما يصيب القول دون إفراط، وهو ما اتفق الناس على صدقه وعدم تجاوزه الحدود المتعارف عليها."[4]

---

(١) الكامل: ٢/٩٩٦.

(٢) انظر: الإيضاح: ٢٥٤ شروح التلخيص: ٣/٣١٤ وقد عرفه الخطيب" وهو ما ليس بمدرك بشيء من الحواس الخمس الظاهرة، مع أنه لو أدرك لم يدرك إلا بها".

(٣) الكامل: ٢/٩٢٣.

(٤) المختصر في تاريخ البلاغة: ٦٧.

ويمكن أن نصل من خلال أبياته التي طرحها إلى ما كان يطلبه من التناسب بين الطرفين، وإصابة الأديب في الجمع بينهما، وبهذا المفهوم نحكم بأن المبرد من خلال أبياته كشف لنا عن هذا المفهوم.

والنوع الثاني من التشبيه هو التشبيه المتجاوز المفرط الذي: يحقق المبالغة في الصفة التي تجمع بين طرفي التشبيه، وباختياره لتشبيه الخنساء لأخيها صخرا وتعليقه عليه يتضح ذلك المفهوم. قالت الخنساء:

وإنَّ صخراً لتأتمُّ الهداةُ بهِ ... كأنَّهُ علمٌ في رأسهِ نارُ

فبالغت في الوصف أشد مبالغة، وأوغلت إيغالاً شديداً بقولها " في رأسه نار " بعد أن جعلته علماً، وهو الجبل العظيم. قال المبرد: " فجعلت المهتدي يأتم به، وجعلته كنار في رأس علم "[1]

ومن إفراط التشبيه قول أبي خراش الهذلي يصف سرعة ابنه في العدو:

كأنهم يسعون في إثر طائر ... خفيف المشاش عظمه غير ذي نحض

يبادر جنح الليل فهو مهابد ... يحث الجناح بالتبسط والقبض

فالقوم الذين يعدون خلف خراش كأنهم في سرعتهم يتعلقون بطائر خفيف قليل اللحم، يسرع حين يقبل الليل عليه، ويحثّ جناحيه ببسطهما وقبضهما.

ويقف المبرد من هذا النوع من التشبيه موقف الإعجاب، ويرى من حقّ الشاعر أن يتناوله في شعره، فيقول مثلا: " ومن تشبيههم المتجاوز الجيد النظم ما قد ذكرناه، وهو قول أبي الطمحان القيني:

أضاءَتْ لهم أحسابُهم ووجوهُهمْ ... دُجَى الليلِ حتّى نظمَّ الجَزْعَ ثاقِبُهْ "[2]

فالمعنى تم للشاعر لما انتهى في بيته إلى قوله: (دجى الليل) ولكنه زاد بما هو أبلغ وأبدع وأغرب في قوله: (حتى نظم الجزع ثاقبه). خزانة الأدب: ذكر المبالغة: قوله: نظم الجزع ثاقبه، يريد أنهم لو استضاء بضيائهم في غياهب الظلام من يثقب الخرز الذي هو أشد شيء لأبصر ذلك فكيف بما هو أظهر؟

---

(١) الكامل: ٢/٩٤١.

(٢) الكامل: ٢/١٠٣٤.

والمعنى: أن أحسابهم ووجوههم أضاءت لهم ظلام الليل حتى حملت في ضمن ذلك ناظم الجزع على نظمه يشير بهذا البيت إلى أنهم من ذوي الجاه والحسب.

والنوع الثالث من التشبيه: التشبيه المقارب، وهو التشبيه الصريح الذي يقوم بنفسه ولا يحتاج إلى تفسير أو تاويل، لأنه ظاهر واضح بسيط.[1]

ومثّل له المبرد بقول الشماخ في صفة الفرس:

مُفَّجِ الحَوامي عن نسورٍ كأنها ... نوى القسبِ تَرت عن جريمٍ مُلجلَجِ[2]

فالتشبيه هنا واضح إذ شبّه الشاعر نسور الفرس بالنوى الصلبة.

والنوع الرابع من التشبيه البعيد وهو التشبيه الذي يبعد فيه الشاعر والأديب بفهمه عن فهم الناس فيتناول صورة تشبيهية بعيدة عن أفهام الناس، وقد تناول المبرد فيه قول الشاعر:

بل لو رأتني أخت جيراننا ... إذ أنا في الحيّ كأنّي حمارْ

قال المبرد: "فإنما أراد الصحة فهذا بعيد، لأن السامع إنما يستدل عليه بغيره"[3] والذي جعل التشبيه بعيدا أن قصد الشاعر يختلف عن فهم الناس، فالسامع يتبادر إلى ذهنه ولأول وهلة أن القصد من التشبيه تشبيه نفسه بالحمار في البلادة والغباء وسوء التصرف، ولا يتطرق إلى ذهنه أن الشاعر كان يقصد من ذلك: أنه في غاية الصحة وكمال القوة. ولا شك أن الوصول إلى هذا المقصد يحتاج إلى تفسير وتأويل، لأنه غير بيّن وغير واضح بنفسه والسامع يستدل عليه بغيره.

والنوع الخامس من التشبيه المليح، وهو نوع من التشبيه مقبول وطريف لما يشتمل عليه من طرافة وجدّة. ومن مليح التشبيه عند المبرد قول القائل:

لعَيْناكَ يومَ البينِ أسْرَعُ واكِفاً ... من الفَنَنِ المَمْطورِ وهو مَريحُ

ووجه ملاحته عند المبرد: أن الشاعر شبه دموع عيني محبوبته يوم الفراق بالغصن الذي يقع المطر على ورقه، ثم تهب الريح فيتساقط ماء المطر من الورق قطرات، وهي صورة رائعة." وذاك أن الغصن يقع المطر في ورقه فيصير منها في مثل المداهن، فإذا هبت به الريح لم تلبثه أن تقطره."[4]

---

(١) انظر: المختصر في البلاغة: ٦٧.
(٢) الكامل: ٢/ ١٠١٣.
(٣) الكامل: ٢/ ١٠٣٦.
(٤) الكامل: ٢/ ١٠٣٩.

والنوع السادس التشبيه الجيّد وهو ما وصفه المبرد بقوله: " وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبّه، وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة، ونبه فيه بفطنته على ما يخفى عليه"[1] وقد قدم المبرد قول طرفة:

تَـرَى النَّـاسَ أفواجـاً إلـى بـابِ دارِهِ ... كـأنَّهُمُ رِجْـلا دَبـاً وجَـرادِ

فيومـاً لإلحـاقِ الفقيـرِ بـذي الغِنَـى ... ويومـاً رقـابٌ بُـوكرتْ بحـصادِ

وهنا شبّه الشاعر ازدحام الناس أمام دار ممدوحه بازدحام الجراد ودبيب الأرجل، ليصل من ذلك إلى كثرتهم، واستيعاب ممدوحه لهم.

والنوع السابع من التشبيه الحسن، ولعل هذه التسمية؛ لأن تلك الأبيات نالت استحسان الناس، لحسن اختيار الشاعر صورة التشبيه فيها، وتناسب الطرفين، وقد مثّل له بقول عنترة:

وغَـادَرْنَ نَـضْلَةَ فـي مَعْـرَكٍ *** يجـرُّ الأسـنَّةَ كالمحتَطِـبْ

وسبب استحسان المبرد لبيت عنترة حسن التشبيه بين المطعون بالرماح وهو يغادر المعركة وحامل الحطب، ووجه الشبه الحمل في كل " يقول: طعن وغودرت الرماح فيه، فظل يجرها، كأنه حامل حطب." [2]

إلى غير ذلك من أنواع التشبيه كالعجيب والمحمود التي حكم عليها المبرد بذائقته النقديّة، وأبدى رأيه فيها.

ونخلص من ذلك إلى أن المبرد قد أطلق التشبيه كثيرا من الأسماء التي تدل على حسنها وملاحتها، ثم أرجعها إلى أربعة أضرب، فقال:" والعرب تشبه على أربعة أضرب: فتشبيه مفرط، وتشبيه مصيب، وتشبيه مقارب، وتشبيه بعيد يحتاج إلى التفسير ولا يقوم بنفسه: وهو أخشن الكلام." [3]

ولكن دراسته لها كانت دراسة مهتمة بإطلاق النعوت والأحكام الموظّفة للجمال المتحقق في النص الأدبي، وحظه من الحسن وفضل تشبيه على آخر، ومدى قرب التشبيه أو بعده، أو مقاربته أو إفراطه أو قبحه، والذي يحسب له أن جمع تلك مكان

---

(١) الكامل: ١/ ٣٨٥.

(٢) الكامل: ٢/ ٩٤١.

(٣) الكامل: ٢/ ١٠٣٢وما بعدها.

واحد وخصّ كل قسم بشواهد شعرية تعين على فهم مراده، فكانت أول دراسة أدبية اعتنت بالتشبيه، وميّزت وجوهه وأشكاله.

٢. المجاز المرسل:

تناول المبرد المجاز المرسل في مواضع متفرقة من كتابه الكامل دون أن يفرد له بابا او يسميه باسمه الاصطلاحي المعروف أو يقصد إليه قصدا، وإنما ذكره استطرادا، ومن العلاقات التي تناولها المبرد:

- علاقة المجاورة:

وكان تناوله لها عن طريق التفسير والتحليل للشاهد البلاغي في قول رجل من بني تميم:

إن الذين يسوغ في أعناقهم زاد يُمَنّ عليهم للئام

" وقوله: "يسوغ في أعناقهم" يريد حلوقهم لأن العنق يحيط بالحلق، ويشبه هذا في الاتساع في الفصاحة لا في المعنى قول القطامي:

لم تر قوماً هم شر لإخوتهم منا عشية يجري بالدم الوادي

نقريهم لهذميات نقد بها ما كان خاط عليهم كل زراد

لأن الخياطة تضم خرق القميص، والسرد يضم حلق الدرع، فضربه مثلاً فجعله خياطة"[1] فالاتساع في اللغة يسوغ هذا الاستعمال؛ ولكون العنق يحيط بالحلق جاز الاستعمال من باب المجاورة. وقد صرح المبرد بعلاقة المجاورة وهو يتناول قول عبيد بن أيوب العنبري:

أهابوا به فازداد بعداً وصده عن القرب منهم ضوء برقٍ و وابله

" وقوله: "ضوء برق ووابله". أراد صده عنهم ضوء برقٍ ووابله، فأضاف الوابل من المطر إلى البرق. وإنما الإضافة إلى الشيء على جهة التضمين، ولا يضاف الشيء إلى الشيء إلا وهو غيره أو بعضه، فالذي هو غيره: غلام زيدٍ ودار عمرو، والذي هو بعضه: ثوب خز،

(١) الكامل: ١/٨٢-٨٣.

وخاتم حديد، وإنما أضاف الوابل إلى البرق، وليس هو له، كما قلت: دار زيد، على جهة المجاورة، وأنهما راجعان إلى السحابة.

وقد يضاف ما كان كذا على السعة، كما قال الشاعر:

حتى أنخت قلوصي في دياركم بخير من يحتذي نعلاً وحافيها

فأضاف الحافي إلى النعل، والتقدير: حافٍ منها."[1] فالمسوغ لهذه العلاقة هو الاتساع في اللغة.

– علاقة السببية: كما أشار إلى علاقة السببية دون تسميتها في تحليله لقول الكلابي:

حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل الإصبع

" يقال: لفلان عليك يدٌ، ولفلان عليك إصبعٌ، وكل جيدٌ، وإنما يعني ههنا النعمة." [2] تريدٌ باليد والاصبع النعمةَ، لأنها سببٌ فيها.

– علاقة ماسيئول إليه: أشار إليها في تحليله لقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف: ٣٦] أي: أعصر عنباً فيصير إلى هذه الحال.[3]

الـواطئينَ علـى صُـدُورِ نعـالهمْ يمشُونَ في الـدَّفَنِيِّ والأبـرادِ

– علاقة الجزئية: هناك إشارة منه إلى هذه العلاقة عن طريق تحليله لقول الأعشى: " يريد السودد والنعمة ولم يخصص الصدور، وإنما أراد النعال كلها." [4]فذكر الجزء وهو الصدر وأراد النعال كلها.

٢. الاستعارة:

من خلال دراستنا لكتاب الكامل وجدنا للمبرد إشارات تحليلية ومصطلحية في الاستعارة، متنوعة تنظيرا وتطبيقا، على النحو التالي:

(١) الكامل: ١/٤٤٤-٤٤٥.

(٢) الكامل: ١/٤٦٥-٤٦٦.

(٣) الكامل: ٢/٩٩٥.

(٤) الكامل: ١/٧٩.

– وقوفه مع قول المصطفى ﷺ: " ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة؟ أحاسنكم أخلاقاً، الموطأون أكنافاً،الذين يألفون ويؤلفون،ألا أخبركم بأبغضكم إلي وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة؟ الثرثارون المتفيهقون". فقد أطلق على قوله عليه الصلاة والسلام " "الموطأون أكنافاً"أنه مثل، وحقيقته أن التوطئة هي التذليل والتمهيد، يقال: دابة وطيء، يا فتى، وهو الذي لا يحرك راكبه في مسيره، وفراش وطيء إذا كان وثيراً لا يؤذي جنب النائم عليه، فأراد القائل بقوله: " موطأ" الأكناف" أن ناحيته يتمكن فيها صاحبها غير مؤذى، ولا ناب به موضعه."[1] وأول ما يستوقفنا في هذا النص إطلاقه المثل الذي عرف فيما بعد بـ " الاستعارة التمثيلية" وثانيا: الإشارة إلى الحقيقة والأصل في المعنى المجازي وأن هناك لفظا ينقل من معناه الموضوع له إلى معنى آخر، أي: أن اللفظ المنقول، أو ما يطلق عليه المستعار يجب أن يكون له أصل أو حقيقة يدل عليها بأصل وضعه، وثالثا: حسن التحليل فيما تناوله في الحديث من استعارة، بحيث يستطيع القارئ أن يميز بين المعنى الحقيقي للفظة والمعنى المجازي وعلاقة المشابهة القائمة بين طرفي الاستعارة، ثم تأمل كيف أجريت الاستعارة في موطأ الأكناف عند المبرد، باستعارة الفراش الوثير لصاحب الخلق في أن كليهما" غير مؤذي، ولا ناب به موضعه" ولا يلبث المبرد إلا أن يقف مع لفظة (الثرثارون) مبينا دلالتها المجازية" وقوله ﷺ: "الثرثارون" يعني الذين يكثرون الكلام تكلفاً وتجاوزاً، وخروجاً عن الحق، وأصل هذه اللفظة من العين الواسعة من عيون الماء، يقال: عينٌ ثرثارةٌ. وكان يقال لنهرٍ بعينه: الثرثار، وإنما سمي به لكثرة مائه"[2] فيهتم بإرجاع المعنى المجازي إلى أصل حقيقته، ليبين جمال الاستعارة وحسن اختيارها، أو بمعنى آخر: الحرص على إبراز العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي من خلال تحليلاته.

ويكثر أن نجد اهتماما من المبرد بإرجاع اللفظة المجازية إلى أصلها، ليعيها القارئ ويعي العلاقة القائمة بين المعنيين، كما في تعليقه على رسالة عمر في القضاء، ومنها" الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنةٍ..."[3] فيجري الاستعارة

---

(١) الكامل: ١/٦.

(٢) الكامل:١/٧.

(٣) الكامل:١/٢٠.

في لفظة(تلجلج)، وإجراء الاستعارة يعني إيجاد العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي "وقوله: "فيما تلجلج في صدرك" يقول: تردد،وأصل ذلك المضغة والأكلة يرددها الرجل في فمه فلا تزال تتردد إلى أن يسيغها أو يقذفها. والكلمة يرددها الرجل إلى أن يصلها بأخرى. يقال للعيي: لجلاج. وقد يكون من الآفة تعتري اللسان. قال زهير:

تلجلج مضغة فيها أنيضٌ... أصلت، فهي تحت الكشح داء"[1]

لقد كان المبرد على علم بمصطلح الاستعارة، فنراه يستخدمها في تحليلاته كما كان يجري الاستعارة بإجراء البلاغيين لها. ومن ذلك:

وقوفه عند قول رجل من طيء:

لهم عجز بالحزن فالرمل فاللوى وقد جاوزت حيي جديس رعالها

وتحت نحور الخيل حرشف رجلة تتاح لحبات القلوب نبالها

قال: " والعجز، مؤخر العسكر ههنا، وهو مستعار...والحرشف: نبت يكثر في البادية، وإنما شبه النبل به في الكثرة"[2]فلفظة" وهو مستعار" تدلنا دلالة قوية على معرفة المبرد للاستعارة وفهمه لها، والتعبير بـ (شبّه) في إجراء الاستعارة دليل آخر على فهمه البلاغي للاستعارة، كما أن من أهداف المبرد في دراسة الاستعارة إبراز الجامع بين الطرفين" وإنما شبه النبل به في الكثرة".ومن ذلك قوله معلقا على قول جرير يرثي ابنه سوادة:

هذا سوادة يجلو مقلتي لحمٍ بازٍ يصرصر فوق المرقب العالي

فارقته حين غض الدهر من بصري وحين صرت كعظم الرمة البالي

" قوله: "يجلو مقلتي لحم"، شبه مقلتيه بمقلتي البازي، ويقال: "طائر لحم" يريد الحر من أحرار الطير وسباعها، وهي التي تصيد الطير وتأكل اللحم، ويقال: صائد لحم من هذا.

---

(١) الكامل: ٢٢/١.

(٢) الكامل: ١٢٦/١-١٢٧.

وقوله: "يصرصر" يعني يصوت، يقال: صرصر البازي والصقر، وما كان من سباع الطير، ويقال: صرصر العصفور: وأحسبه مستعاراً. لأن الأصل فيه أن يستعمل في الجوارح من الطير. قال جرير:

وقال آخر:

بازٍ يصرصر بالسهبى قطاً جونا كما صرصر العصفور في الرطب الثعد".[1]

ونلاحظ أن المبرد لا يكتفي بذكر رأيه مجردا، بل يورده معللا ببيان السر في جعله لفظ (يصرصر) مستعارا، ثم لاحظ فهمه للاستعارة باستخدامه الإطلاق البلاغي لأحد أركان الاستعارة (وأحسبه مستعارا).

وفي تعليق ثالث على قول لحسان بن ثابت يهجو مسافع بن عياض التيمي

لو كنت من هاشم أو من بني أسدٍ أو عبد شمس أو اصحاب اللوا الصيد

أو من بني نوفل أو رهط مطلبٍ لله درك لم تهمم بتهديدي

أو في الذؤابة من قوم ذوي حسبٍ لم تصبح اليوم نكساً ثاني الجيد

أومن بني زهرة الأخيار قد علموا أومن بني جمح البيض المناجيد

أو في السرارة من تيم رضيت بهم أو من بني خلف الخضر الجلاعيد

"وقوله: "الخضر الجلاعيد" يقال: فيه قولان: أحدهما أنه يريد سواد جلودهم، كما قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهبٍ:

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة في بيت العرب

فهذا هو القول الأول. وقال آخرون: شبههم في جودهم بالبحور"[2] والقول الأول يصرف الكلام إلى الكناية عن سواد جلودهم، والقول الثاني يصرف الكلام إلى الاستعارة، وقد أجراها دون أن يسميها هنا..

---

(١) الكامل: ١/٢٨٧-٢٨٨.

(٢) الكامل: ١/٣٢٩.

وقد يجري المبرد الاستعارة بالنص على ذكر الطرفين كما في قول الكميت " وقال الكميت:

وفقّــأ فيهــا الغيــث مــن ســابيائه دوالــح وافقــن النجــوم البواجــسا

فشبه ماء الغيث بماء السابياء "[1]

ومما يؤكد فهم المبرد للاستعارة تصريحه بها في تعليقه على قول الراعي:

يــا نعمهــا ليلــةً حتــى تخونهــا داعٍ دعــا فــي فــروع الــصبح شــحاج!

" وقوله: "شحاج"، إنما هو استعارة في شدة الصوت، وأصله للبغل، والعرب تستعير من بعضٍ لبعض، قال العجاج ينعت حماراً:

كــأن فــي فيــه إذا مــا شــحجا عــوداً دويــن اللهــوات مولجــا[2]

وقال جرير:

إن الغــراب بمــا كرهــت لمولــعٌ بنــوى الأحبــة دائــم التــشحاج"

فأشار إلى الاستعارة وذكر وجه الشبه(شدة الصوت) بين المشبه والمشبه به، فالعلاقة بين الداعي والشحاج(البغل) شدة الصوت. كما أن المبرد أسس قاعدة تبين لنا جذور هذا المصطلح البلاغي عند العرب، فالعرب تستعير من بعض كلامها لبعضه.

وشاهد آخر يؤكد لنا فطنة المبرد للاستعارة، وفهمه لها، وهاهو يجريها بتحديد اللفظ المستعار " والمغل الذي عنده غلول، وهو ما يختان ويحتجن، ويستعمل مستعاراً في غير المال، يقال: غل يغل كقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١]"[3]

---

(١) الكامل: ٣٥٣/١.

(٢) الكامل: ٣٧١/١.

(٣) الكامل: ٤٦٤/١.

ومن شواهد الاستعارة في كتاب الكامل وقوفه عند قول جرير وقد نزل بقوم من بني العنبر بن تميم فلم يقروه حتى اشترى منهم القرى فانصرف وهو يقول؛

هل أنتم غير أو شابٍ زعانفةٍ ... ريش الذّنابى وليس الرأس كالذّنب

فقد ذكر المبرد " وأما الزّعانف فأصلها أجنحة السّمك، سمي بذلك الأدعياء، لأنهم التصقوا بالصميم كما التصقت تلك الأجنحة بعظام السمك. قال أوس بن حجر؛

ومازال يفرى الشد حتى كأنما ... قوائمه في جانبيه زعانف"[1]

فالزعانف مستعار للأدعياء.

وقد تحدث المبرد عما سمّي فيما بعد عند البلاغيين بالاستعارة الحرفية، وفطن للتوسع الذي يجري في الحروف، فيخرجها عن معناها الأصلي في الوضع اللغوي " ومثل هذا قولهم: فلان على الدابة، وعلى الجبل، أي: فوق كل واحد منهما ثم تقول:فلان عليه دين تمثيلاً، وكذلك ركبه دين، وإنما يريد أن الدين علاه وقهره، وكذلك فلان على الكوفة إذا كان والياً عليها، وكذلك: علا فلان القوم، إذا علاهم بأمره وقهرهم، أو جعل في هذا الموضع." [2] والحرف المذكور (على) وكأنه بتفسيره يشير إلى دلالة الاستعلاء فيه، وأنه يتناول جانبين، أحدهما: حسي يتحقق في الأشياء المادية، مثّل المبرد لها بالجبل والدابة، ووردت فيه (على) على أصل معناها. والجانب الآخر: معنوي، فالمال كالهم على المدين، وكأنه يركبه ويعلوه ويقهره كما تركب الدابة، وفلان على الكوفة، كأنه يعلو على الرعية بسلطانه، وهذا هو معنى الاتساع الذي يحقق إجراء الاستعارة في هذا الحرف.

وقد عرف المبرد الاستعارة التمثيلية، وسماها مثلا.. ففي تحليلاته يتضح هذا النفس لديه من مثل قول نضلة السلمي في يوم غول:

ولم يخشوا مصالته عليهم ... وتحت الرغوة اللبن الصريح

---

(١) الكامل: ٢/٥٧٧-٥٧٨.

(٢) الكامل: ١/٥٣.

" وقوله: وتحت الرغوة اللبن الصريح...يقول: إذا رأيت الرغوة وهو ما يرغو كالجلد في أعلى اللبن لم تدر ما تحتها، فربما صادفت اللبن الصريح إذا كشفتها. أي: أنهم رأوني فازدروني لدمامتي، فلما كشفوا عني وجدوا غير ما رأوا. والصريح: المحض الخالص. من ذلك قولهم: عربي صريح أي: خالص، ومولى صريح." [1] ومن خلال هذا التحليل لهذا المثل يتضح كيف يربط المبرد بين المثل واستعماله من خلال بيان الحال التي عليها المتكلم، تحت ما يسميه البلاغيون بالاستعارة التمثيلية، وهو وإن لم يسمها إلا أنه اجراها في المثل بما يدل على فهمه لها. وفي شاهد نبوي آخر ويروى ان رسول الله ﷺ قال: "من كان آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، كان كمن حيزت له الدنيا بحذافيرها". [2] يقول المبرد: "قوله ﷺ: "في سربه" يقول: في مسلكه، يقال: فلان واسع السرب وخلي السرب، يريد المسالك والمذاهب، وإنما هو مثل مضروب للصدر والقلب، يقال: خل سربه، أي: طريقه حتى يذهب حيث شاء، ويقال ذلك للإبل، لأنها تنسرب في الطرقات، ويقال: سرب علي الإبل، أي: أرسلها شيئاً بعد شيء." [3] يبرز للقارئ وضوح المثل وإجراءه عند المبرد بمن جمع الله له بين عافية بدنه وأمن قلبه حيث توجه وكفاف عيشه بقوت يومه وسلامة أهله. وفي قول عمارة:

أمـــا فـــيهم كـــريم مثـــل نـــصر   يـــورع عـــنهم ســـنن الفحـــول

تناول المبرد هذه الاستعارة، فقال:" وقوله: يورع عنهم سنن الفحول...إنما هو مثل ضربه، فجعلهم لإمساكهم عن الحرب بمنزلة النوق التي يقرعها الفحل." [4] كما تناولها في قول لقمان لابنه: يا بني، إذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم الإسلام ثم اجلس فإن أفاضوا في ذكر الله: فأجل سهمك مع سهامهم، وإن أفاضوا في غير فخلهم وانهض.

---

(١) الكامل: ١/١٢٠–١٢١.

(٢) حسن. ((السلسلة الصحيحة)) (٢٣١٨): سنن الترمذي: ٣٤ـ الزهد، ٣٤ـ ب حدثنا عمرو بن مالك. ابن ماجه: ٣٧ـ ك الزهد، ٩ـ ب القناعة، ح ٤١٤١ البخاري: الأدب المفرد: باب من أصبح آمنا في سربه. قال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مروان بن معاذ. ولفظة (بحذافيرها) زيادة لم ترد في كتب الأحاديث.

(٣) الكامل: ١/٢٠٦–٢٠٧.

(٤) الكامل: ١/٢١٥.

ووقف عند قوله: (فاجل سهمك مع سهامهم) فقال:" يعني السلام. وقوله: "فأجل سهمك مع سهامهم". يعني أدخل معهم في أمرهم، فضربه مثلاً، من دخول الرجل في قداح الميسر." [1] وقول أبي زيد الأسلمي:

مدحت عروقاً للندى مصّت الثرى ... حديثاً فلم تهمم بأن تتزعزعا

نقائذ بؤس ذاقت الفقر والغنى ... وحلبت الأيام والدهر أضرعا

" وقوله: وحلبت الأيام والدهر أضرعا... فإنه مثلٌ. يقال للرجل المجرب للأمور: فلان قد حلب الدهر أشطره، أي: قد قاسى الشدة والرخاء، وتصرف في الفقر والغنى. كما قال القائل:

قد عشت في الناس أطواراً على طرقٍ ... شتى، وقاسيت فيها اللين والفظعا

كلا بلوت،فلا النعماء تبطرني ... ولا تخشعت من لأوائها جزعاً

لا يملأ الهول صدري قبل موقعه ... ولا أضيق به ذرعاً إذا وقعا[2]

واستخدام المبرد للمثل كثير في تناوله، ولعله ما كان يسميه عبد القاهر الجرجاني بالتمثيل الكائن على حد الاستعارة،[3] أو المجاز المركب أو التمثيل عند القزويني.[4] ولعلي اختم بهذا الشاهد لبيان كيف كان تحليل المبرد للمعنى المجازي عن طريق المثل أو فيما سمي بعد بالاستعارة التمثيلية؟

قال أبو زيد الأسلميّ:

مدحت عروقاً للنّدى مصّت الثّرى ... حديثاً فلم تهمم بأن تتزعزعا

نقائذ بؤس ذاقت الفقر والغنى ... وحلّبت الأيّام والدّهر أضرعا

---

(١) الكامل:١/ ٢٢٩.

(٢) الكامل: ١/ ٢٤٨-٢٤٩.

(٣) دلائل الإعجاز: ٤٣٠.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٤٧.

" فالسجل في الأصل الدلو، وإنما ضربه مثلاً لما فاض عليها من ندى أقاربها، يقال للدلو- وهي مؤنثة: سجل وذنوب، وهما مذكران، والغرب مذكر وهو الدلو العظيمة، ويقال: فلان يساجل فلاناً، أي: يخرج من الشرف مثل ما يخرج الآخر، وأصل المساجلة أن يستقي ساقيان، فيخرج كل واحدٍ منهما في سجله مثل ما يخرج الآخر،فأيهما نكل فقد غلب، فضربته العرب مثلا للمفاخرة والمساماة." [1] وهنا ربط وثيق بين الطرفين، وإبراز للعلاقة القائمة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي. ومنهج المبرد في ذلك أن يمهد للفظة بإبراز معناها الأصلي والوضعي ليقربها للقارئ، ثم يربط بينها وبين استعمال الأديب في كلامه، وذكر بعض الرواة أن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان عاملاً لعلي بن أبي طالب على اليمن، فشخص إلى علي، واستخلف على اليمن عمرو بن أركة الثقفي، فوجه معاوية إلى اليمن ونواحيها بسر بن أرطاة، أحد بني عامر ابن لؤي، فقتل عمرو بن أراكة، فجزع عليه عبد الله أخوه جزعاً شديداً، فقال أبوه:

لعمري لئن أتبعت عينيك ما مضى ... به الدهر أو ساق الحمام إلى القبر

لتستنفدن ماء الشؤون بأسره ... ولو كنت تمريهن من ثبج البحر

فتأمل المبرد استخدام الشاعر للفظة (تمريهن) وأبرز المعنى الاستعاري فيها بعد ان أبرز صلتها بالمعنى اللغوي المستعمل لها" وقوله: تمريهن فإنما هو مثل، يقال: "مريت الناقة" إذا مسحت ضرعها لتدر، فإنما هو استخراج اللبن، ويقال: "مريت برجلي الأرض"، إذا مسحتها، والأصل ذلك، فإنما أراد: ولو كنت تستخرج الدموع من ثبج البحر." [2]

٣. الكناية:

تناول المبرد الكناية وفطن لها، وسنتعرف كيف كان المبرد يتعامل مع مصطلح الكناية وشواهدها؟ وهل كان يصرح بها في تحليلاته؟

لقد كانت تحليلات المبرد وإشاراته في مبحث الكناية تقوم على تحليل الكناية دون تسميتها فيما طرحه في بعض الشواهد، بينما نجده يصرح بها في شواهد أخرى، على النحو الآتي:

فمما حلل فيه الكناية دون ذكر اسمها: قول أبي بكر الصديق: إني وليت أموركم خيركم في نفسي، فكلكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من دونه. وقد علق المبرد على قوله: (فكلكم ورم أنفه) " وقوله: "فكلكم ورم أنفه"، يقول: امتلأ من ذلك غضباً، وذكر

---

(١) الكامل: ١/ ٢٥٠.

(٢) الكامل: ٣/ ١٣٨٦.

أنفه دون السائر كما يقال: فلان شامخ بأنفه، يريد رافعا رأسه، وهذا يكون من الغضب كما قال الشاعر:

ولا يهـــاج إذا مـــا أنفـــه ورمـــا

أي: لايكلم عند الغضب، ويقال للمائل برأسه كبرا: متشاوس، وثاني عطفه، وثاني جيده، إنما هذا كله من الكبرياء. قال الله ﷻ: ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الحج: ٩]
وقال الشمّاخ:

نبئـت أن ربيعـاً أن رعـى إبـلاً … يهـدي إلـي خنـاه ثـاني الجيـد"[1]

وقد جاء تحليله للكناية هنا تفسيرا أو دلالة على المعنى الكنائي المقصود، فورم الأنف كناية عن الغضب، والمتكبر: متشاوس وثاني الجيد.

وفي شاهد آخر يبرز المبرد الكناية عن صفة بالإشارة إلى المعنى الكنائي، كما في قول القتال الكلابي يفخر بنفسه وقومه:

طـوال أنـضية الأعنـاق لـم يجـدوا … ريـح الإمـاء إذا راحـت بأزفـار

" وقوله: "طوال أنضية الأعناق" فالنضي مركب النصل في السنخ، وضربه مثلاً، وإنما أراد طوال الأعناق، كما قال الأعشى:

الـوَاطِئِينَ عَلَـى صُـدُورِ نِعَـالِهِمْ … َفـي الـدَّفَنِيّ وَالأَبْـرَادِ

يريد السودد والنعمة.."[2] فطول النضي علامة على طول العنق. والوطء على صدور النعال، يعني من الترف، أي: هم ملوكٌ لا يمشون حفاة. والدفنى ضرب من الثياب. والأبراد عصب اليمن.

وقول الشماخ:

إذا مـا رايـةٌ رُفِعَـتْ لمجـدٍ … تَلَقَّاهـا عَرَابـةُ بـاليمين

---

(١) الكامل: ١٦/١.

(٢) الكامل: ٧٩/١.

" قوله: " تلقاها عرابة باليمين"، قال أصحاب المعاني: معناه بالقوة"[1]

وقول حسان بن ثابت يهجو مسافع بن عياض التيمي

أو في السرارة من تيم رضيت بهم أو من بني خلف الخضر الجلاعيد

" وقوله: "الخضر الجلاعيد" يقال: فيه قولان: أحدهما أنه يريد سواد جلودهم، كما قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب:

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة في بيت العرب"[2]

وهذا القول يحقق الكناية عن صفة السواد في البيت المذكور.

وفي قول حارثَة بن بَدْر في زياد بن أبيه:

النّاسُ بَعْدَكَ قد خَفَّتْ حُلُومُهُمُ كأنّما نَفَخَتْ فِيها الأعاصِيرُ

" وقوله: كأنما نفخت فيها الأعاصير...هذا مثل، وإنما يراد خفة الحلوم. والإعصار فيما ذكر أبو عبيدة: ريح تهب بشدة فيما بين السماء والأرض. ومن أمثال العرب: " إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً". يضرب للرجل يكون جلداً فيصادف من هو أجلد منه، قال الله ﷻ: ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ [البقرة: ٢٦٦] "[3] ومع إشارته للكناية في البيت عن خفة الحلم، فقد أشار إلى ما يوجد في البيت من استعارة تمثيلية بإطلاق لفظة (مثل) وتفسيرها من خلال المثل المذكور("إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً"). ومن جمال هذا البيت اجتماع الكناية والمثل والتشبيه فيه فاقت صورته كل صورة.

ومن الكناية عن صفة أشار المبرد إلى قول السليك بن السّلكة:

فلا تصلي بصعلوك نؤوم إذا أمسى يعدّ من العيال

---

(١) الكامل: ١/ ١٦٧.

(٢) الكامل: ١/ ٣٢٩.

(٣) الكامل: ١/ ٤١٥.

" وقوله: "نئوم" يصفه بالبلادة والكسل، وكانت العرب تمدح بخفّة الرؤوس عن النوم، وتذمّ النّومة"[1]

ومما أطلق فيه لفظ الكناية صراحة ما ذكره في قول علي بن عبد الله بن العباس:

هم منعوا ذماري يوم جاءت كتائب مسرف وبنو اللكيعة

" وقوله: " بنو اللكيعة "، فهي اللئيمة، ويقال في النداء للئيم: يا لكع، وللأنثى: يا لكاع، لأنه موضع معرفة، كما يقال: يا فسق ويا خبث، فإن لم ترد أن تعدله عن جهته قلت للرجل: يا ألكع، وللأنثى يا لكعاء، وهذا موضع لا تقع فيه النكرة، وقد جاء في الحديث والأصل ما ذكرت لك: " لا تقوم الساعة حتى يلي أمور الناس لكع بن لكع "، فهذا كناية عن اللئيم بن اللئيم " [2] فقوله: لئيم بن لئيم أي:رديء النسب دنيء الحسب، كناية عن هذا النوع الذي يلي أمر الناس في آخر الزمان، أو العبيد والسفلة.

ومن اعتناء المبرد بهذا المبحث أنه عقد له بابا سماه من ألفاظ الكنايات، حشد فيه مجموعة كبيرة من الألفاظ التي تستعملها العرب في كناياتها، بدأها بلفظة النكاح " ويكون النّكاح الجماع، وهو في الأصل كناية، قال الراجز:

إذا زنيت فأجد نكاحاً وأعمل الغدوّ والرّواحا

والكناية تقع عن هذا الباب كثيراً، والأصل ما ذكرنا لك، وقال رسول الله ﷺ: " أنا من نكاح لا من سفاح" [3]. ومن خطب المسلمين: "إن الله ﷻ أحلّ النّكاح وحرم السّفاح".

والكناية تقع على الجماع، قال الله ﷻ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، فهذه كناية عن الجماع، قال أكثر الفقهاء في قوله تبارك وتعالى:

---

(١) الكامل: ٢/ ٦٤٤.

(٢) الكامل:١/ ٣٨٨

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ٣٩٩، رقم ١٠٨١٢، والبيهقي في السنن الكبرى ٧/ ١٩٠، كتاب النكاح: باب نكاح أهل الشرك وطلاقهم، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢١٧، كتاب علامات النبوة: باب في كرامة أصله ﷺ، وقال: رواه الطبراني عن المديني عن أبي الحويرث، ولم أعرف المديني ولا شيخه وبقية رجاله وثقوا.

﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣] قالوا: كناية عن الجماع،... وقوله ﷻ: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] كنايةٌ بإجماع عن قضاء الحاجة، لأن كلّ من أكل الطعام في الدنيا أنجى، يقال: نجا وأنجى، إذا قام لحاجة الإنسان. وكذلك: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١] كناية عن الفروج، ومثله: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [المائدة: ٦] ، فإنما الغائط كالوادي، وقال عمرو بن معدي كرب:

وكم من غائط من دون سلمى ... قليل الإنس ليس به كتيع"[1]

ومن الكناية عن موصوف قول ابن نمير الثقفي:

كأن على الظعائن يوم بانوا ... نعاجاً ترتعي بقل البراثِ

"وقوله: نعاجاً ترتعي بقل البراثِ... فالنعجة عند العرب البقرة الوحشية، وحكم البقرة عندهم حكم الضائنة، وحكم الظبية عندهم حكمُ الماعزة، والعرب تكني بالنعجة عن المرأة وبالشاةِ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ [ص: ٢٣] وقال الأعشى:

فرميت غفلة عينه عن شاتِه ... فاصبت حبة قلبها وطحالها

يريد المرأة."[2]

وقول عمرَ بن عبد الله بن أبي ربيعة:

ليْتَ شِعْري هَلْ أَقُولَنْ لِرَكْبٍ ... بِفَلاةٍ هُمْ لَدَيْهَا هُجُوعُ

طالما عرستمُ، فاركبوا بي ... حانَ من نجمِ الثريا طلوعُ

" قوله: حان من نجم الثريا طلوعُ: كنايةٌ، وإنما يريدُ الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وهم العبلات."[3]

---

(١) الكامل: ٢/٦٥٦-٦٥٧.
(٢) الكامل: ٢/٧٨٧.
(٣) الكامل: ٢/٧٧٩.

وإذا تأملت تحليلات الكناية عند المبرد وجدتها واضحة في ذهنه تصلك إلى الملزوم بكل يسر وسهولة، كما في قول طخيم بن أبي الطخماء الأسدي يمدح قوماً من أهل الحيرة:

معي كل فضفاض القميص كأنه ... إذا ما سرت فيه المدام فنيق

" وقوله: "معي كل فضفاض القميص" يريد أن قميصه ذو فضولٍ، وإنما يقصد إلى ما فيه من الخيلاء، كما قال زهير:

يجرون الذيول وقد تمشت ... حَمَيَّا الكَأسِ فيهم والغناء

ويقال: إن تأويل قول رسول الله ﷺ: "فضل الإزار في النار" [1] إنما أراد معنى الخيلاء" [2]

وقول الحجاج في أهل العراق:يا بني اللكيعة، وعبيد العصا، وأولاد الإماء..." وقوله: "عبيد العصا "يريد أنهم لا ينقادون إلا بالإذلال، كما قال ابن مفرغ الحميري:

العبد يقرع بالعصا ... والحر تكفيه الملامه

وقال جرير يهجو التيم:

ألا إنما تيم لعمرو ومالك ... عبيد العصا لم يرج عتقاً قطينها"[3]

وقد يشعر المبرد بالكناية بالتعبير بكلمة (يصف)، كما في قول رجل من بني سعد يرثي رجلاً:

ورثت سلاحه، وورثت ذوداً ... وحزناً دائماً أخرى الليالي

---

(١) لم أجده بنص المبرد، إنما الوارد (ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار) وقوله فضل الإزار في النار يريد جره خيلاء وأن يفضل منه عن قدرة حتى يجره كما جاء مفسرا في حديث آخر من جر إزاره بطرا " الكتاب: مشارق الأنوار على صحاح الآثار: ١٢٢/٢ فصل في الاختلاف والوهم. وهو حديث صحيح: البخاري: باب ما أسفل من الكعبين في النار. أبو داود: باب في قدر موضع الإزار. ابن ماجه: باب موضع الإزار أين هو؟ النسائي: ما تحت الكعبين من الإزار وعلق عليه الألباني بقوله: صحيح. مسند أحمد: مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب.

(٢) الكامل: ٥٩/١.

(٣) الكامل: ٣٥٤/١.

" ورثت سلاحه وورثت ذودا يصف قرب نسبه منه"[1]

أو بقوله: (أراد) كما في قول سُحَيْم بن وَثِيلٍ الرياحيّ:

أَنَــا ابــنُ جَلَــا وطلّــاعُ الثَّنايَــا متَــى أضَــعِ العِمامَــةَ تَعرِفُــوني

" قوله: "أنا ابن جلا"، إنما يريد المنكشف الأمر... وقوله: "وطلاع الثنايا".. وإنما أراد أنه جلد يطلع الثنايا في ارتفاعها وصعوبتها، كما قال دريد بن الصمة يعني أخاه عبد الله:

كمـيش الإزار خـارجٌ نـصف سـاقه بعيـد مـن الـسوءات طـلاع أنجـد"

ومما قدمه المبرد للكناية أن جعلها تدور في ثلاثة أغراض يستخدمها المتكلم لأجلها: التعمية والتغطية، والرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره، والتفخيم والتعظيم، والدارس لهذه الأضرب الثلاثة يتبين له أنه أراد أغراض الكناية وأهدافها في الكلام.

فأول هذه الأغراض التعمية والتغطية، وقد استدل له بما يدل على التغطية " كقول النابغة الجعديّ:

أكنِّي بغيـر اسـمها وقـد علـم الله خفيـــــات كـــــلِّ مكتـــــتم

وقال ذو الرُّمَّة، استراحةً إلى التصريح من الكناية:

أحـبُّ المكان القفر من أجل أنّني بـه أتغنّـى باسـمها غيـر معجـم"[2]

والثاني: الرغبة عن اللفظ الخسيس،وهو أحسن أهداف الكناية التي ترد لأجله" ويكون من الكناية – وذاك أحسنها– الرغبةُ عن اللفظ الخسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره، قال الله – وله المثل الأعلى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] وقال جل ثناؤه: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣] ... وكذلك قولهم في قضاء

---

(١) الكامل: ١/ ٩٤.

(٢) الكامل: ٢/ ٨٥٥.

الحاجةِ: جاء فلان من الغائطِ كناية عن الحدث، وإنما الغائط الوادي، وكذلك المرأةُ، قال عمروٌ بن معدي كرب الزبيديُّ:

فكم من غائطٍ من دون سلمى قليل الأنس ليس به كتيعُ

وقال الله جل وعزَّ في المسيح ابن مريمَ وأمهِ صلى الله عليهما: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]، وإنما هو كنايةٌ عن قضاء الحاجة. وقال: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١] ؛ وإنما هي كناية عن الفروج. ومثل هذا كثيرٌ." [1]

والثالث من أغراض الكناية التعظيم والتفخيم " ومنه اشتقت الكنيةُ وهو أن يعظم الرجل أن يدعى باسمه، ووقعت في الكلام على ضربين: وقعت في الصبيّ على جهة التفاؤل، بأن يكون له ولدٌ فيدعى ولده كنايةً عن ا سمه، وفي الكبير أن ينادى باسم ولده صيانةً لاسمهِ، وإنما يقال: كنيَ عن كذا بكذا، أي تركَ كذا إلى كذا، لبعض ما ذكرنا." [2]

" وإذا أردنا أن نضع عنوانا لكل ضرب من هذه الأضرب الثلاثة التي ذكرها المبرد لأمكننا القول بان الضرب الأول الذي جاء للتعمية والتغطية إنما هو نوع من الكناية اللغوية، والضرب الثاني الذي نلحظ فيه العدول عن اللفظ الخسيس إلى غيره مما يدل على معناه إنما هو من نوع الكناية الاصطلاحية. أما الضرب الثالث الذي اشتق منه الكنية فهو كناية من باب التسمية ولا أكثر من ذلك".[3] وكما ذكرت فإن هذه الأقسام لا ترجع إلى تقسيم الجنس إلى أنواعه، وإنما هي في الحقيقة ضروب لما تؤديه الكناية من فائدة في صناعة الكلام.

وفي الكناية عن الغضب يذكر المبرد" ويقال في الغضب: تركت فلاناً يصرف نابه عليك ويحرق ويحرق. ورأيته يعض عليك الأرم. قال زهير في مدحه حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري:

أبي الضيم والنعمان يحرق نابه عليه فأفضى والسيوف معاقله

---

(١) الكامل: ٢/٨٥٦-٨٥٧.

(٢) الكامل: ٢/٨٥٨.

(٣) أثر النحاة في البحث البلاغي: ٢٢٨.

وقال آخر:

نبئـــت أحمـــاء ســـليمى إنمـــا ظلـــوا غـــضاباً يعلوكـــون الأرمـــا"[1]

وفي الكناية عن الطول يذكر المبرد" النجاد: حمائل السيف، وأزهاه: رفعه وأعلاه، والرجل يمدح بالطول، فلذلك يذكر طول حمائله. قال مروان بن أبي حفصة يمدح المهدي:

قـصرت حمائلـه عليـه فقلـصت ولقـــد تـــأنق قينهـــا فأطالهـــا

وقال الحسن بن هانئ يمدح محمداً الأمين:

ســبط البنــان إذا احتبــى بنجــاده غمــر الجمــاجم والــسماط قيــام "[2]

وفي قول الخنساء:

طويـــل النجـــاد رفيـــع العمـــا د ســـــاد عـــــشيرته أمـــــردا

" قولها: طويل النجاد، النجاد: حمائل السيف، تريد بطول نجاده طول قامته، وهذا مما يمدح به الشريف، قال جرير:

فإني لأرضى عبد شمس وما قضت وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

... وقولها: رفيع العماد إنما تريد ذاك، يقال: رجل معمد، أي: طويل، ومنه قوله ﷻ: ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ [الفجر: ٧] أي: الطوال. وقولها: ما عالهم أي ما نابهم ونزل بهم، تقول العرب: ما عالك فهو عائلي، أي: ما نابك فهو نائبي " [3]

والخلاصة فيما ذكره المبرد عن الكناية أنه تطرق لمفهوم الكناية، وبين شيئا من أهدافها في الكلام، وقد عثر على نصوص وتفسيرات له في ثنايا الكتاب توحي بعد

---

(١) الكامل: ٢/١٠٢٣- ١٠٢٤.

(٢) الكامل: ٢/١٠٤٣.

(٣) الكامل: ٣/١٤١٣- ١٤١٥.

تحليلها وتوجيهها بلاغيا باقترابه من المفهوم البلاغي للكناية، ويؤكد ذلك ما تمثل به المبرد من مسموع العرب شعرا ونثرا، وتبين أن دلالة الكناية عند المبرد تنطوي على معنيين، لغوي يعني الستر والخفاء عندما يريد المتكلم أن يبوح بكلام وهو يريد غيره، وبلاغي يتناول إطلاق اللفظ وإرادة لازمه. كما أن المبرد قد أدرك ما ينطوي عليه فن الكناية من معان تعد في الغالب من لوازم المعاني الأول أو ردفا لها.

رابعا: البديع:

١.التضاد:

نقل المبرد خطبة لعمر بن الخطاب أبان عن إعجابه بها وما اشتملت عليه من حسن بسبب ما جرى فيها من مشاكلة، " ومما يؤثر من هذه الآداب ويقدم قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في أول خطبة خطبها حدثنا العتبي قال: لم أر أقل منها في اللفظ، ولا أكثر في المعنى حمد الله وأثنى عليه وأهله، وصلى على نبيه محمد ﷺ ثم قال:

أيها الناس، إنه والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له، ولا أضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه.ثم نزل. وإنما حسن هذا القول مع ما يستحقه من قبل الاختيار، بما عضده به من الفعل المشاكل له" [١] وبالتأمل في تعليق المبرد، نجد في هذا النص ما يعضد فهمه لمدلول التضاد في الألفاظ، بأن أطلق عليها المشاكلة وجعلها حسنا يرفع القول، فالمقصود بالمشاكلة هي ما يمكن أن يسمى بالألفاظ المتضادة والتي تكسو الكلام جمالا، وتزيده بهاء ورونقا، وهذا ما رأيناه يرد في خطبة عمر بن الخطاب من اختيار تلك الألفاظ المتضادة (أقوى، أضعف،الضعيف، القوي، له، منه). إذن ففهم المبرد يقترب من الطباق المعنوي، والذي يرى حسن أثره في الكلام بما يرفع من حسن القول.

٢. التجريد:

فطن المبرد للتجريد إما عن طريق الشاهد الذي يمثل به والذي أصبح فيما بعد نواة لشواهد البلاغيين في هذا الفن، وكان كثير من شواهده معالم لمن بعده من البلاغيين في الاستنارة والاهتداء بها، أو عن طريق تحليله للشاهد، فمن شواهده في التجريد:

قول القتّال الكلابي:

لا أرْضَع الدَّهرَ إلاَّ ثَدْيَ واضِحةٍ ... لواضح الخد يحْمي حَوْزة الجار

(١) الكامل: ١/١٨-١٩.

"وقوله:لا أرضع الدهر إلا ثدي واضحة ... يقول إنما ترضعني أمي، وليست غير كريمة، كما قال الأعشى:

يــا خيــر مــن يركــب المطــيّ ولا يــشرب كأســاً بكــف مــن بخــلا

يقول: إنما تشرب بكفك، ولست ببخيل، ومثل هذا قول التميمي لنجدة بن عامر الحنفي الخارجي:

متى تلق الحريش حريش سعد وعبـــاداً يقـــود الـــدارعينا

تبـــين أن أمـــك لـــم تـــورك ولـــم ترضـــع أميـــر المؤمنينـــا"[1]

وقول أعشى باهلة:

أخُــو رغائــبَ يُعطيهَــا ويُــسألُهَا يــأبَى الظُلامــةَ منــهُ النوفَــلُ الزُفَــرُ

قال المبرد: " وإنما يريده بعينه، كقولك: لئن لقيت فلاناً ليلقينك منه الأسد." [2]

٣. المبالغة:

أشار المبرد إلى أثر(كاد) و(كرب) في الكلام، ودلالتهما على المقاربة في جانب المبالغة وهو يتناول قول أبي زيد الأسلميّ:

سقاها ذوو الأرحام سجلاً على الظَّما وقــد كربــت أعناقهــا أن تقطَّعــا"

يقول: سقيت هذا السجل وقد دنت أعناقها من أن تقطع عطشاً، وكرب في معنى المقاربة، يقال: كاد يفعل ذلك، وجعل يفعل ذلك، وكرب يفعل ذلك، أي: دنا من ذلك. ويقال: جاء زيد والخيل كاربته، أي: قد دنت منه وقربت. فأما أخذ يفعل، وجعل يفعل، فمعناهما أنه قد صار يفعل، ولا تقع بعد واحدة منهما: "أن" فأما(كاد)و(كرب)فـ(أن) لا تستعمل بعد واحدة منهما إلا أن يضطر شاعرٌ. قال الله ﷻ: ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾

(١) الكامل: ١/٧٧-٧٨.

(٢) الكامل: ١/٨٠.

[النور: ٤٠] أي:لم يقرب من رؤيتها، وإيضاحه: لم يرها ولم يكد، وكذلك: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور: ٤٣] وكذلك: ﴿كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ [التوبة: ١١٧] بغير "أن". ومن أمثال العرب: كاد النعام يطير، وكاد العروس يكون أميراً. وكاد المنتعل يكون راكباً وقد اضطر الشاعر فأدخل "أن" بعد "كاد". كما أدخلها هذا بعد "كرب" فقال: "وقد كربت أعناقها أن تقطعها" وقال رؤبة: "قد كاد من طول البلى أن يمصحا" [1] وهو ما سماه البلاغيون بالغلو المقبول، إذا اقترن به ما يقربه إلى الصحة والإمكان كلفظ كاد ونحوها..[2]

كما فطن المبرد لبعض الأبيات المتجاوزة الحد في معناها، فسماها (الإفراط)، وكان استخدامه لمصطلح الإفراط للدلالة على الشيء المتجاوز فيه، فعد بيت:

فلو أنَّ ما أبقيتِ مني مُعَلَّقٌ ... بعودِ ثُمامٍ ما تأوَّدَ عُودُهَا

من الإفراط، علق عليه بقوله: " الثمام: نبت ضعيف، واحدته ثمامة، وهذا متجاوز كقول القائل:

ويمنعها من أن تطير زمامها..."[3] وسر الإفراط فيه: أنه بالغ في ذكر صفة النحول، لأن الثمام من أضعف النبت وأدقّه عوداً.

ومن شواهد الإفراط التي أوردها المبرد: " وقد أكثروا في هذا، فمن الإفراط في السرعة قول ذي الرمة:

كأنه كوكب في إثر عفرية ... مسوم في سواد الليل منقضب

ومن الإفراط قول الحطيئة:

وإن نظرت يوماً بمؤخر عينها ... إلى علم بالغور قالت له ابعد

ومن الإفراط قوله:

بأرض ترى فرخ الحبارى كأنه ... بها راكب موف على ظهر قردد

---

(١) الكامل: ٢٥٢/١-٢٥٣.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة: ٤١٣.

(٣) الكامل: ٣٨٥/١.

ومن ذلك قوله:

وكادت على الأطواء أطواء ضارج تساقطني والرحل من صوت هدهد

وقال آخر:

مروح برجليها إذا هي هجرت ويمنعها من أن تطير زمامها

وقال الشماخ:

مروح تغتلي في البيد حرف تكاد تطير من رأي القطيع

وكذلك الأعرابي الذي يقول:

لو ترسل الريح لجئنا قبلها...[1] فالعبرة في التشبيه ليست من حيث الكمية أو القوة أو الضعف، بل بما في الطرفين من وجه شبه بأي حال من الأحوال كثر أم ضعف، عظم أو صغر، فالإفراط في التشبيه ليس كذبا، وإنما هو قول صدق موشى بزينة المبالغة، تلك هي التي لاحظها المبرد وأعجب بها أيما إعجاب.[2]

وقد توارد مصطلح المبالغة عند المبرد بلفظه ومفهومه المرادف لمعنى الكثرة والإجادة والتكثير والتشديد في عمل الفعل " يقال: رجل ضارب للذي يضرب، كثيراً كان منه ذلك أو قليلاً، فإذا قلت: ضراب." [3] وقتال، فإنما يكثر الفعل، ولا يكون للقليل." وفي قول عمارة:

تنوخهم نمير كل يوم كفعل أخي العزازة بالذليل

ذكر المبرد" والعزازة: العز، والمصادر تقع على" فعالة" للمبالغة، يقال عز عزا وعزازة، كما تقول: الشراسة والصرامة، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ ﴾ [الأعراف: ٦٧] وفي موضع آخر: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ ﴾ [الأعراف: ٦١]."[4]

---

(١) الكامل: ٢/ ١٠١٠-١٠١١.

(٢) أثر النحاة في البحث البلاغي: ٢٣٢.

(٣) الكامل: ٢/ ١٠٢٥.

(٤) الكامل: ١/ ٢١٧-٢١٨.

وفي قول حسان:

أَوْ من بني زهرةَ الأخيارِ قد علموا ... أَوُ مـن بنـي جمـحَ البـيضِ المناجيـدِ

" وقوله: "المناجيد" مفاعيل، من النجدة، والواحد منجاد، وإنما يقال ذلك في تكثير الفعل، كما تقول: رجل مطعان بالرمح، ومطعام للطعام." (١)

وأشار المبرد إلى بعض صيغ المبالغة اللغوية، والتي لم يعرها البلاغيون اهتمامهم والتي تفيد الكثرة، ومنها: " وقوله: كيف "دليلاك" فهي كثرة الدلالة، و"الفعيلي" إنما تستعمل في الكثرة، ويقال: القتيتي لكثرة النميمة، ويقال: الهجيري لكثرة الكلمة المترددة على لسان الرجل، يقال: ذكرك هجيراي، أي: هو الذي يجري على لساني، وفي الحديث: "كان هجيري أبي بكر الصديق رحمه الله بلا إله إلا الله" ويقال: كان بينهم رميا، لكثرة الرمي، وكذلك كل ما أشبه هذا." (٢)

٤. السجع:

فطن المبرد للسجع، وسجل تعريفه، وربطه بالمعنى اللغوي" والسجع من الكلام: أن تأتلف أواخره على نسقٍ، كما تأتلف القوافي. وهو في البهائم: موالاة الصوتِ، قال ابن الدمينة:

أأن سجعتْ ورقاءُ في رونقِ الضحى ... على فننٍ غض النباتِ من الرند." (٣)

وأشار إلى شيء من سجع المختار بن أبي عبيد الثقفي الكهنية، والتي ذكرها ابن الرقيات:

والذي نغص ابن دومة ما تو ... حي الشياطين والسيوف ظماء

فأباح العراق يضربهم بالسيف ... صلتاً وفي الضراب غلاء

"فإنما يريد بابن دومة المختار بن أبي عبيد الثقفي، والذي نغصه مصعب بن الزبير...وقوله: "ما توحي الشياطين"، فإن المختار كان يدعي أنه يلهم ضرباً من السجاعة لأمور تكون، ثم يحتال فيوقعها، فيقول للناس: هذا من عند الله ﷻ. فمن ذلك قوله ذات

---

(١) الكامل: ٣٢٦/١.
(٢) الكامل: ٧١٤/٢.
(٣) الكامل: ٧٨٧/٢-٧٨٨.

يوم: لتنزلن من السماء نار دهماء، فلتحرقن دار أسماء. فذكر ذلك لأسماء بن خارجة، فقال: أقد سجع بي أبو إسحاق! هو والله محرق داري! فتركه والدار وهرب من الكوفة. وقال في بعض سجعه: أما والذي شرع الأديان، وجنب الأوثان، وكره العصيان، لأقتلن أزد عمان، وجل قيس عيلان، وتميماً أولياء الشيطان، حاشا النجيب ظبيان! فكان ظبيان النجيب يقول: لم أزل في عمر المختار أتقلب آمناً." [1] وبذلك يكون المبرد قد سجّل في تآليف البحث البلاغي ما يفيد فهمه الدقيق لمدلول السجع في البلاغة، مضيفا إلى ذلك معيبه في سياق الكلام.

* * *

(١) الكامل: ٣/١١٩١-١١٩٢.

الخاتمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فقد انتهى بنا البحث عن المصطلح والشاهد البلاغي في كتاب الكامل للمبرد إلى مجموعة من النتائج التي أبرزت أثر هذا الكتاب في تراثنا اللغوي والبلاغي، ليكون رافدا من الروافد المتعددة التي استقى منها البحث البلاغي مشاربه دلالة المصطلحات وتحليل النصوص، ووضع المعايير المناسبة لقيمها الفنيّة والجمالية، فخرجت من ذلك بنتائج، أبرزها وأهمها:

- ملاحظة أن بيئة اللغويين والنحويين المتقدمين كانت التربة التي نمت فيها البذور الأولى للبحث البلاغي، وعلى الرغم من أنها كانت مجرد براعم متناثرة وردت كالتعليل والتفسير لمتجهاتهم، فقد أتيح للاحقين جمعها وصياغتها في قواعد علمية مقررة.
- التأكيد على وجود الصلة الوثيقة بين علوم اللغة العربية، ولا سيما تلك الصلة بين النحو والبلاغة، والتي تمثّلت في اعتماد البلاغة على مقاييس النحو ومعطياته، وكانت بوادر تلك العلاقة قد بدت واضحة فيما تضمّنه كتاب الكامل من لفتات وتفسيرات بلاغية وأسلوبية.
- تنبه المبرد لأبرز عيوب الفصاحة في جانب التركيب، والتي جعلت البلاغيين يضعونها في مقدمات كتبهم، وهم يدرسون مسائل البلاغة، كما تنبّه إلى ما تقوم عليه البلاغة من مراعاة مقتضى الحال في الكلام.
- فطن المبرد لشيء من أسرار الكلمة مذكرة كانت أو مؤنثة، مفردة كانت أو مجموعة.
- شارك المبرد في إبراز شيء من أسرار الإنشاء الطلبي، كما في الاستفهام والنداء والأمر.
- توغّل المبرد في تناوله لمبحث الحذف والإضمار، فوجد في تحليلاته رصدا لصور الحذف في الحرف والكلمة والجملة والجمل، إضافة إلى فطنته للوصول إلى صحة شرط الحذف.
- أدرك المبرد كثيرا من الصور التي يخرج إليها الكلام خروجا عن مقتضى الظاهر، فتناول القلب والتغليب وشيئا من صور الالتفات.
- كانت دراسة المبرد للتشبيه من أمتع الدراسات التي فاض بها هذا الكتاب، وكانت شواهدة وفيرة في هذا الجانب الذي استفاد منه البلاغيون فيما بعد.

- برز من خلال هذا البحث معرفة المبرد للمجاز بنوعيه العقلي واللغوي وبعض علاقات المجاز، كما سجّل هذا البحث إلمام المبرد بمصطلح الاستعارة وأركانها، ومعرفته بالاستعارة التمثيلية.
- كما كان للكناية مكان وافر من حيث الشاهد والتقسيم لأهدافها ودلالاتها.
- إضافة إلى ما سجله من تحليلات مميزة في بعض أبواب البديع.

وأخيرا فإن ما سجل في هذا البحث يشهد لصاحب الكتاب بسبقه إلى إدراك كثير من الفنون البلاغية، والشواهد الأدبيّة التي أفاد منها البلاغيّون في مؤلفاتهم البلاغيّة.

والحمد لله أولا و أخيرا والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

ثبت المصادر والمراجع:

- أثر النحاة في البحث البلاغي، د. عبد القادر حسين، دار قطري بن الفجأة، الدوحة، قطر، ط٢، ١٩٨٦م.
- أخبار النحويين البصريين، أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، اعتنى بنشره وتهذيبه فرتيس كرنكو، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣٦م.
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السرّاج البغدادي، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٧هـ١٩٩٦م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٣هـ١٩٩٢.
- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق ودراسة: د. عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
- البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، تحقيق: د. أحمد أبو ملحم وزملاؤه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٥، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدّين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان.
- البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٥.
- بيان التشبيه: دراسة تاريخية فنيّة، د. عبد الحميد العيسوي، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.
- البيان العربي، د. بدوي طبانة، دار المنارة، جدة، ط٧، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، القاضي أبو المحاسن المفضّل بن محمد التنوخي المعرّي، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ١٩٨١م.
- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ١٩٨٩م.
- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، أبو الفرج معافى بن زكريا النهرواني الجريري، تحقيق: د. محمد مرسي الخولي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

– دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.
– سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
– سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
– سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
– سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي، دار الفكر، بيروت، لبنان.
– شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٢هـ.
– شروح التلخيص، دار السرور، بيروت، لبنان.
– شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، دراسة وتحقيق: د. حسن بن محمد الحفظي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٤هـ ١٩٩٣م.
– صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
– الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
– العمدة في محاسن الشعر وآدابه،ابن رشيق القيرواني، تحقيق: د. محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، لبنان،ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
– عيار الشعر، أبو الحسن محمد بن طباطبا العلوي، تحقيق: د. عبد العزيز المانع، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
– فقه اللغة وأسرار العربية، أبو منصور الثعالبي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
– في تاريخ البلاغة العربية، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
– الكامل، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: د. محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
– كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١.
– كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة(مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي)، اعتنى به: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

– المبرد: أديب النحاة، أحمد حسنين القرني وعبد الحفيظ فرغلي علي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧١م.
– مجاز القرآن، صنعه أبو عبيدة معمر بن المثنى، عارضه بأصله وعلق عليه د. محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
– المختصر في تاريخ البلاغة، د. عبد القادر حسين، دار الشروق بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
– مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني المكي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م.
– مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، المكتبة العتيقة، تونس، دار التراث، القاهرة.
– معجم الأدباء(إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ياقوت الحموي الرومي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.
– المقتضب، صنعة: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٩٩هـ.
– مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، لبنان، ط١١، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.
– مناهج بلاغية، د. أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.
– المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
– نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات كمال الدّين عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ط٣، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

* * *